كفاح أم

فهد دربالة - كفاح أم ، رواية

رقم الإيداع : ٢٠١٧/٢٩١٥١ ISBN : 978-977-798-097-5

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعبر الآراء
الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار
ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت
إلا بموجب موافقة خطية من الناشر

© دار الحلم للنشر والتوزيع

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

Mob : 00201141824562

dar_el7elm@hotmail com

info darel7elm@Gmail com

كفاح أم

(شكرا يا أمى أحضرتى كل شيء ولم يحضر أبى)

رواية

فهد دربالة

(اذا رحلت الأم رحل كل شئ)

شكرا لحمل روايتى الاولي

اهداء

الى أبـــي وأمـــي

أتمني لك قراءة ممتعة

الخميس ٩سبتمبر ٢٠١٠

وقفة عيد الفطر

العاشرة صباح

تأتى سيارة مرسيدس بيضاء اللون تمشى على طريق زراعى يمين الطريق اشجار زينه وعلى الشمال المقابر واثر التراب فى الهواء خلف السيارة تقف السيارة جانب الطريق اليمين تحت الاشجار ويفتح باب السيارة علي مقابر مجمعة للقرى المجاوره تضم اكثر من اربع قرى وهى

(كفر حميد) (الدناوية) (كفر الرفاعى) (عزبة الورد)

المقابر من الداخل يدخل شاب طويل القامة فى سن الثلاثين بشرة بيضاء يرتدى قميص اسمر وبنطلون جنز ازرق و نظارة سمراء يمسك بطفل فى يده اليمين عمره ست سنوات يرتدى قميص احمر بخطوط سمراء وبنطلون جنز وكوتش ابيض وفى يده الشمال بنت فى قرابة الاربع سنوات ترتدى فستان احمر وينظر الشاب بعيد داخل المقابر ويبتسم ابتسامه خفيفة كأنما رأي احد غائب منذ زمن بعيد وقد عاد ويقترب من احد المقابر والاطفال معه ويقف امام مقبرة

يخلع النظارة ويدعها فى جيب القميص ويرفع يده ويقرأ الفاتحة ويضم يده على وجه ويقف ينظر الي المقبرة والولد الصغير يقف على يمينه والبنت على شماله فى صمت وينظر الطفل وهو يمسك يد الشاب

_ بابا

ينظر اليه اباه

_هـو احنـا مـش هنجيـب لبـس العيـد مـش انـت قولـت انـك واخدنـا علشـان نجيـب لبـس

يهمس الاب براسه نعم

وينظـر الشـاب الى المقـبرة وفى صمـت تدمـع عينـاه ويأخـذ نفـس عميق ويغمـض عيناه

ويسمع الماضى

****

الخميس ٧ يونيو ١٩٨٦

وقفة عيد الفطر

الساعة العاشرة مساء

بيـت قديـم بالطـوب النـاي عـلى حافـه ترعـة امامـه اشـجار وداخـل البيـت صـوت الأم وهـى تقيـس لبـس جديـد لطفلـين قبـل العيدوقـد اتي زوجهـا باللبـس لـلاولاد بعـد ان عـاد مـن العمـل

انها (صباح) زوجة (ابراهيم)

تعيـش (صبـاح) مـع زوجهـا الـذى يعمـل (حـارس امـن) فى احـد الـشركات الخاصـة ويملـك ابراهيـم نصـف فـدان مـن الأرض وهـو الابـن الوحيـد لوالـده وكان يعمـل والـد ابراهيـم بحـار وهـو الـذى اتي بـه الى القريـة وعاشـا فيهـا بحكـم عملـه حتـي كـبر ابراهيـم وتقـدم ليخطـب (صبـاح) بنـت الحـاج (عبـد الرحيـم) شـيخ البلـد

عبـد الرحيـم كان رجـل محبـوب بـين النـاس ويملـك مـن الطـين الكثـير حتـي كان فى وقـت مـن الاوقـات ارادت النـاس ان يدخـل انتخابـات العمديـة ولكـن رفـض انـه يقـف امـام صديـق عمـره (خـيرى) وكان مقـدم فى الانتخابـات فى ذلـك الوقـت

وكان عبد الرحيم لديه من الابناء ثلاث أولاد ولدين وبنت الولدين (وحيد) هو الابن الاكبر و(محارب)هو الابن الوسط بين وحيد وصباح يكبر صباح بسنة

وبعد ان مات (عبد الرحيم) رفض محارب ان يعطى صباح حقها حتي الان بعد ان سافر وحيد ولم يعود ولكن لا تريد صباح ان تطلب منه شئ وتنسي ذلك الورث

تقف صباح وتقيس للاولاد اللبس الجديد فى احد غرف المنزل القديم وعندما يفتح باب البيت تجد غرفة على اليمين وهى غرفة الأولاد وبجانبها مطبخ صغير وحمام وغرفتين على الشمال هى غرفة نوم صباح وابراهيم وفى وسط البيت سلم من الطين للصعود الى فوق وزير ماء بين الغرفتين وفرن بلدى جانب السلم وكانت سقف البيت بالجريد والعروق المنزوعه من النخيل اما ابناء (صباح) فالابن الاكبر هو (عماد) خمسة سنوات والاصغر (محمد) ثلاث سنوات و ابنة عمرها سنة (سعاد)

غرفة الولاد تقف صباح امام سرير الأولاد هى امراة جميلة جمال الريف النقى الذى يخلو من الغبار على الوجه فى سن الثلاثين من العمر طويلة الى حدا ما ترتدى جلابية خضراء عليها ورود مختلف الالوان ويقول عماد بعد ان لبس اللبس

_ انا هنام باللبس

_ لاياحبيبى علشان مايتوسخش منك وتعرف تصلى العيد وانت نضيف

محمد بعد ان لبس اللبس الجديد

_ امه انا تدا حلو

تبتسم صباح وهى تحضن ابناءها حلو يا حبيبى

يالا بقي نقلع اللبس ونام علشان نقوم بكره بدرى
يخلع الاطفال اللبس وينامون على السرير وتغطيهم الأم وتخرج من الغرفة وهى تحمل سعاد على كتفها وتدخل غرفة النوم الخاصة بها ويجلس ابراهيم داخل الغرفة فى انتظارها
الغرفة بها سرير نحاس ارجلها تعلى الأرض بأمتار ويغطى السرير نموسية مرفوعة على جانب السرير ويوجد كومدينو على يمين السرير ودولاب جديد الي حدا ما خلف السرير يجلس ابراهيم على السرير يرتدى جلابية قديمة وهى خاصة بالنوم وامامه علبة السجاير ومشط كبريت وورق بفرة ويلف سيجارة هو شاب فى سن الخمسة والثلاثين من العمر بشرة قمحوى شنب أسمر ويكسو شعر الرأس شعر أبيض خفيف وعندما تدخل صباح يكون انتهي من لف السجارة وينظر الي صباح وهو يمسك مشط الكبريت
_ ايه الأخبار اللبس على قد العيال
_ حلو ربنا يخليك لينا
تنيم صباح سعاد على السرير جانب ابراهيم وتقف صباح خلف السرير امام الدولاب وتقول وهى تقلب فى الدولاب
- اعملك شاى
- بلاش مش عايز اسهر انتى عارفه يدوب اصلى العيد وافطر معاكم واروح الشغل
تنظر صباح وهى ترتب الدولاب
- ايه معرفتش تاخد بكره أجازه
- ما انتى عارفة بكرا يوم اضافى ولو غبت بيتحسب بيومين وبعدين يوم العيد ده بيكون الشغل لحد العصر يعنى هكون موجود العصر ان شاء الله ٠

تـأتى صبـاح مـن امـام الـدولاب وفى يدهـا قميـص نـوم احمـر وتبتسـم عندمـا ينظـر ابراهيـم عـلى قميـص النـوم

ويميـل ابراهيـم وهـو عـلى السريـر ويـاتى بكيـس مـن تحـت السريـر وتنظـر صبـاح الي الكيـس بأسـتغراب ويفتـح ابراهيـم الكيـس ويخـرج منـه جلابيـة قـماش نبيتـى جديـده

- اكيـد مـش هنـسي أم العيـال تمسـك صبـاح الجلابيـة وهـى فرحانـه بهـا وتضعهـا عـلى جسـمها

_ ربنا يخليك لينا يارب

****

١٠سبتمبر ١٩٨٦

أول أيام عيد الفطر

وبعـد الانتهـاء مـن صـلاة العيـد يقـف العمـدة امـام المسـجد هـو وابنـاءه الاربعـة ليهنـئ اهـل القريـة و رجـال القريـة تقـف صـف فى انتظـار ان يهنئـون العمـدة وكل مـن يمـر عـلى العمـدة

- كل سنة وانت طيب ياعمدة

ومنهم من يقول السنة الجايه تكون فى الحج ياعمدة

العمدة جمعا انشاء الله

وينفـرغ الجميـع مـن امـام العمـدة ويـأتى محـارب اخـو صبـاح الاكـبر شـاب ذو بـشره بيضـاء طويـل القامـة شـعر اسـمر وشـنب اسـمر خفيـف و يرتـدى العبايـه الفلاحـى فـوق الجلابيـة الجديـده ويمسـك عـكاز جديـد ويقـول للعمـدة وهـو يبتسـم ويمـد يـده للعمـدة

- كل سنة وانت طيب ياعمدة

ينظـر اليـه العمـدة وعـلى وجـه غضـب شـديد كانمـا رأي رجـل بينـه وبينـه ثـأر وهـو يمـد يـده

- وانت طيب يا محارب

ويسـلم محـارب عـلى أولاد العمـدة ويهنئهـم بالعيـد وبعدهـا يذهـب مـن امـام العمـدة

وينظر العمدة اليه بعد ان غادر محارب وهو يهز راسه

- حسبى الله ونعم الوكيل ؟

ويذهـب العمـدة الي البيـت عـلى طريـق ترعـة وهـو يرفـع ايـده لاهـل القريـة عـلى حافـة الترعـة فى المقابـل

****

تجلـس صبـاح وعـلى رجليهـا سـعاد الطفلـة الصغـيرة وهـى ترتـدى الجلابيـة الجديـدة الـذى اتي بهـا ابراهيـم بالامـس ويجلـس عـماد ومحمـد وزوجهـا ابراهيـم يحمـل محمـد عـلى رجليـه ويجلسـان عـلى طبليـه خشـب ويـأكلان السـمك المقـلى وابراهيـم ينظـف الشـوك مـن السـمك ويعطـى الى محمـد وصبـاح مثلـه وتعطـي لعماد وبعـد ان انهي ابراهيـم الفطـار يقـف ويـترك محمـد عـلى الأرض وهـو يقـول الحمدللـه

_ ايه مش هتشرب الشاى

يبقي اشرب فى الشغل علشان مأخرش يالا كل سنة وانتي طيبه

_ وانت طيب

تقـف وهـى تحمـل سـعاد ويخـرج ابراهيـم مـن بـاب البيـت وتغلـق خلفـه وعـلى بعـد خطـوات يلتقـي بعلـوان صديقـه فى العمـل ويسـلم عليـه ويذهبـان الى العمـل

وبعـد قليـل يـدق محـارب البـاب ومعـه ابنـه عبـد الرحيـم الـذى يبلـغ

مـن العمـر الخامسـة وهـو يرتـدى جلابيـة فلاحـى وجزمـة وتـأتى صبـاح وتفتـح البـاب فتجـد محـارب عـلى البـاب تبتسـم وهـى تنظـر اليـه وفى سرور

_ تعـالا تعـالا يـا ابـو عبـد الرحيـم ويدخـل محـارب وهـو يبتسـم ويمـد يـده ويسـلم عليهـا

_ كل سنة وانتى طيبة ياختى

_ وانت طيب

وتمسـك عبـد الرحيـم وتقبلـه وينظـر محـارب الى البيـت لم يجـد احـد مـن الابنـاء

_ ايه امال فين ابراهيم والعيال

_ ابراهيـم راح الشـغل بـس العيـال جـوا تعـالا ياعـماد انـت ومحمـد خالـك محـارب جـاى يعيـد عليكـم

ويأتى عماد ومحمد من الداخل مسرعين على محارب ومحارب

_ اهلا اهلا بولاد اختى

_ ويحضن محارب الولاد

_خدو يا حبيبى

ويخـرج محـارب للـولاد فلـوس ويعطـى كل واحـد خمسـة جنيـة وينظـر الى صبـاح وفـين سـعاد

فتـسرح صبـاح وهـى فرحانـة بمـا اعطـى اخوهـا لاولادهـا فتنـسي المـيراث الـذي يأخـذه منهـا فى هـذه اللحظـة تفـوق مـن نظـرة الحنـان ويقـول محـارب بقـول فـين سـعاد عايـز اعلمهـا العديـة مـن وهـى صغـيره

_جوه داخله اجبها

تدخـل صبـاح الغرفـة تحمـل سـعاد وتخـرج ويجلـس محـارب عـلى

الحصـيرة المشـمع

_سعاد اهيه

يمسـك محـارب سـعاد ويقبلهـا ويخـرج خمسـة جنيـة مـن جيبـة ويعطيـه اليهـا

_ خدى علشان يبقي كلكم واحد

وينظـر الي صبـاح وهـى تقـف ايـه مسـتنيه ايـه متقعـدى تعمـلى شـاى دا انـا باجـى هنـا علشـان اشرب كوبايـة الشـاى مـن ايـدك

- عينى اجيب العدة وجايه

ويلاعـب محـارب الـولاد وهـم عـلى رجليـه وتـأتى صبـاح بالعـدة وتجلـس جانبـه وهـى فرحانـة بزيارتـه فـكان العيـد لدينـا هـى زيـارة خـالى محـارب والامـوال الـذى نأخـذ منـه عديـة

****

وبعـد أيـام مـن العيـد تـأتى احـد البنـات الصغـار ترتـدى جلابيـة قصـيرة وشبشـب بلاسـتيك تـدق البـاب تفتـح أمـى البـاب لتجـد (أسـماء) بنـت الجيران

_ ايه يا (أسماء)

_ كلمى أم عيد علشان تساعديها فى الخبيز

_طب روحى وانا هنيم العيال وجايه وراكى

تغلـق أمـى البـاب وتدخـل الغرفـة ترتـدي الجلابيـة السـمراء وتخـرج وانـا معهـا وتغلـق البـاب عـلى محمـد وسـعاد وهـما نايمـين ونخـرج مـن البيـت انـا وأمـى عـلى بيـت الجيران ونعـدى الترعـة مـن عـلى المعديـة المصنوعـة مـن النخـل الطويـل وعندمـا وصلنـا عـلى بيـت الجيران دقت أمـى عـلى البـاب فتحـت البـاب أسـماء وهـى عـلى ملابسـها دقيـق مـن

اثـر الخبيـز

_خالتى (صباح) جت

تدخـل أمـى مـن بـاب البيـت ابـو طـوب نى وعندمـا دخلنـا فوجدنـا اثنـين مـن النسـاء كبـار فى سـن يجلسـان امـام الفـرن الاولي أم (عيـد) صاحبـة البيـت وجميـع الجـيران يحبـون أم (عيـد) لان خيرهـا عـلى الجميـع البيـت فيـه خـير كثـير وابناءهـا تجـار مـواشى وعندهـم اراضى بالفدادي‍ـن والثانيـة (أم كريـم) سـت بسـيطه وحالهـا متوسـط بـس لسـانها حلـو واثنـين مـن النسـاء اخريـن فى سـن أمـى فهـى خالتـى (سـعديه) بياعـة فى سـوق المركـز بتأخـذ الخضـار وتجلـس عـلى المحطـة وتكتسـب امـوال كثـيره مـن الخضـار والثانيـة(فاطمـة)زوجهـا يعمـل مـع أبي فى الامـن والجميـع ملابسـهم مليئـه دقيـق مـن اثـر الخبيـز وبعـد دخـول أمـى عليهـم تقـول أم عيـد

_ اهي جت اللى هتريحنى مش زيكم نسوان على الورق

_ عينى يام عيد دا انتى خيرك علينا كلا

_ ربنا يجبر بخاطرك يابنتى

تقـوم أم عيـد مـن امـام الفـرن وتجلـس أمـى وتكـون أم كريـم بتنـاول أمـى مـن مطرحتهـا الى مطرحـة أمـى وسـعديه بتقطـع العجـين مـن حلـة العجـين وبعـد مابـدأت أمـى فى الخبيـز وخـروج العيـش مـن الفـرن بصـت سـعديه عـلى العيـش بأسـتغراب وهـى تبتسـم

_ مفيـش زى خبيـزك ياصبـاح فى البلـد ماانتـى لـو تطوعينـى هتجيبـى فلـوس ياما

_لا كفايـه عليـا اربى العيـال الحمدللـه ربنـا يخـلى ابوهـم مـش مخلينـا عايزيـن حاجـة

تقول أم كريم يارب يابنتى ويهديهم ليكى يارب

_ربنا يخليكى ياخالة
وبعد ان فض الخبيز عند أم عيد وتقف أمى من امام الفرن وتأتى أم عيد تحمل حلة كبيرة بها جبنة وسمن وتقول خدى ياصباح
_ايه ده والله مايحصل انتى عارفه غلاوتك عندى قد ايه متزعلنيش منك ياخاله
_دى حاجة للعيال وابوهم
_خلاص بقي ياخاله علشان لما تعزينى اجيلك تانى
تنظر أم عيد بعد رفض أمى اخذ الحلة منها
ماشى يا بنتى ربنا يسترك ويخلهوملك قادر ياكريم
نعود الى البيت انا وأمى ونفتح الباب فنجد أبي قد عاد من العمل وهو يمسح راسه بعد ان فرغ من الوضوء لصلاة العصر
_ايه انت جيت
_ لسه داخل كنتى فين
- كنت بساعد أم عيد فى شوية خبيز
- طب انا هروح اصلى
ويخرج ابى من البيت
- عقبال ماتيجى هحضرلك الغدا
وذهبت انا الى غرفتى
وبعد فترة من الزمن يجلس أبي وأمى تحت الشجرة فى الأرض وانا امسك فى ايد محمد ونمشى فى وسط الأرض ويأتى عمى (عباس) الذي يعمل بالأجرة عند الناس
هو رجل طويل القامة عليه أثر التعب من الزمان
_ تعالا ياعمى عباس اتفضل
وتوسع أمى مكان ويجلس عمى عباس فى وسط ابى وأمى وكانت

أمى تحمل سعاد اختى ويجهز ابى شاى على البوص فى عدة الأرض عباس بعد ان جلس وينظر الى الأرض

_ بقول ايه يا ابو عماد

ينظر أبي الى عمى عباس وابى كان يحترم عمى عباس ويقول اليه يا ابني لكبر سنة

_ قول يا با

_انا نفسى تجيب بهيمة ولا اتنين وتسيبك من شغل الامن والكلام ده

ينظر اليه أبي وهو يشعل النار فى البوص تحت الشاى واخرج أبي سجارة لف واعطى عمى عباس واحده وهو اخذ واحده

_ والله يابا انا مش عايز اطلع عيالى ينشغلو بالارض و الفلاحه انا عايز اعلمهم ودى امنية حياتى ان عيالى يتعلموا

_بس ايه هتكل فى الأرض وهتجيب فلوس كل اسبوع

_يابا محدش هيفضي ليها ولا انا ولا أم العيال انت شايف العيال لسه صغيرين

_انا شايف ان البهيمة مش شغلانة واحسن من الشغل فى الشركات

_ لا عندى شغلانة المهم ان شاء الله بكره عايزك معايا علشان نخضر الأرض

_ انت عارف انا مبتأخرش عليك

_عارف يابا ربنا يديك الصحة

وانتهينا من الجلوس فى الأرض وعدنا الى البيت وبعد سنتين دخلت المدرسة

أول يوم فى المدرسة

تدخل أمى علينا انا ومحمد غرفتنا وانا أخذ ملابس المدرسة الجديد فى حضنى ونايم بيه وكيس المش الذى ياخذ الكتب فى حضن محمد وأمى تنادى وهى تدخل قوم ياعماد وفى أول صوت من أمى قمت انا ومحمد من على السرير وانا فرحان ولبستنى أمى لبس المدرسة وخرجت على أبي الذى كان فى انتظارى امام الغرفة وعندما خرجت ورآنى بلبس المدرسة ميل عليا واخذنى فى حضنه ومسك ايدى

_أول يوم ليك فى المدرسة انا لازم اكون معاك علشان تفتكره طوال حيا تك

ونظرت الي أمى واخذتنى فى حضنها وقالت جملة لن انساها

_ أول مره تبعد عنى يا عماد

وكاننى مسافر وامشى مع أبي وانا انظر الى أمى فيغلبها الدمع وتبكى من الفرحة انها رأتنى بذى المدرسة وخرجنا من البيت ذاهبين الي المدرسة

هى مدرسة الدناوية الابتدائية هى المدرسة الوحيدة فى القرية صغيره الى حد ما من الخارج سور بارتفاع مترين ونصف باللون الاصفر وباب حديد من فى الخارج يري من فى الداخل والعكس على يمين الباب غرفة الفراش والكنتين وسلم حديد لمن يصعد فوق المدرسة هناك سبعة فصول فى هذ المدرسة فى الركن اليمن فصلين وفى مقابل الباب الرئيسى ثلاث فصول وعلى الشمال فصلين وغرفة المدير وحوش الطابور الصغير فكانت الفصول بالترتيب من

اليمين الي الشمال أول فصل على اليمين فصل اولي وهكذا لاخر فصل هو فصل خمسة

ووقف ابى معى فى الطابور وكان جانبى وانا انظر اليه وابتسم وهو يفعل ما يقول الاستاذ فى الطابور ويعلمنى كيف اقف فى طابور الصباح ويقول الاستاذ فى الطابور

_ صفا

ابى يعمل صفا وكانه طالب معى فى المدرسة

_ تحية العلم

رفع ابى ايده وانا اعمل مثله وبعده انتهينا من الطابور وخرج ابى من المدرسة بعد ان دخل معي الفصل واجلسنى فى الدرج واتي الى بالكتب ودفع المصاريف

وبعد شهر من دخول المدرسة وفى احد الايام ذاهب الى المدرسة انا واصدقائى وكنت اجلس فى الفصل الاول فى ثانى مقعد وبعد دخول التلاميذ الفصول بعد ان فض طابور الصباح دخل مدرس الفصل الاستاذ (صابر) هو شاب طويل القامة يرتدي قميص ابيض وبنطلون اسمر شعر ناعم فى سن الخامسة والثلاثين من العمر وكل يوم عندما يدخل الفصل نقف يلقى السلام ونرد عليه

وبعد ان وقف امام السبورة وهو يكتب درس الحساب وبعد عدد حصص وجدت خالى محارب يدخل الفصل ومع عبد الرحيم ابنه عبد الرحيم يرتدي لبس المدرسة الجديد وشنطة جلد هوالوحيد الذي يحمل هذه الشنطة فى الفصل ويظهر على عبد الرحيم وهو يقف مع خالى محارب الغضب والحزن الشديد للمجيئ الى المدرسة مثل اى طفل فى أول يوم ذاهب الى المدرسة يقف حزين مع خالى

- السلام عليكم يا استاذ صابر

ينظر الاستاذ صابر الى خالى بعد ان وقف الكتابة وفى يده الطباشير
- اهلا محارب عامل ايه
يسلم الاستاذ صابر على خالى وبعد ان فرغ السلام بينهم
- ايه شقة غريبة خير
ينظر خالى الى عبد الرحيم
- عبد الرحيم ابنى
ينظر الاستاذ صابر الى عبد الرحيم ماشاء الله
-لسه داخل أول يوم انهارده قدمتله من أول السنة بس خايف يجى
- ياراجل حرام عليك ده فات شهر
- معلش بقي استحملنى يا استاذ انت اخ لينا
- ماشى روحت للمدير
- لسه جاى من عنده وقالى شوف الاستاذ صابر
- ماشى يامحارب
ادخل ياعبد الرحيم
- انا عايزه يقعد قدام
- ياراجل سيبك من الكلام ده قدام زيى وره بس هو يفهم
يدخل عبد الرحيم الفصل كأنة داخل على عربية الموت الذي يجلس فيها زعلان وقرفان من الفصل ويجلس فى اخر مقعد لوحده وبعده خرج خالى من المدرسة
ولكن فى هذا اليوم حزنت ان خالى لم يسأل عنى وقد علم انى أول سنة ليا مثل عبد الرحيم
عدت الى البيت واخبرت أمى ان عبد الرحيم ابن خالى اتي الى المدرسة اليوم واخبرتنى ان اجتهد واغلب عبد الرحيم فى الفصل

واجيب اعلي الدرجات من ذلك اليوم احسست انني فى سباق مارثون بينى وبين عبد الرحيم ولم اعرف لماذا هذا السباق ولكن اعدت نفسى الي هذا السباق ومرت اربع سنين وانا اجتهد على عبد الرحيم بالمقابل كان يخرج بملاحق وينجح بعدها فنشئ الحقد من خالى علي وعندما كان يقابلنى كان يتجاهلنى واليوم انا فى الصف الرابع و اخى محمد فى الصف الثاني وعبد الرحيم معى فى الفصل سنة رابعة ولكن ان كنت سمعت انني متفوق على عبد الرحيم فى الدراسة ولكن عبد الرحيم متفوق فى المال فالتلميذ يصطفون حول عبد الرحيم للمال الذى يأخذه من خالى والاكل الكثير و كأنه على سفر بعيد وانا اخذ اكل فقط انا ومحمد ونتقابل فى الفسحة لنأكل ما اعدت أمى الينا

وفى يوم ذهبت انا وأمى الى بيت خالى لبيت فى وسط القرية بيت جدى البيت الذى بناه جدى بالطوب الحجارة فهو مثل الثرايا فجدى كان شيخ البلد وكان صاحب العمدة ويملك من الاراضى الكثير ومن البيوت بيتان الاكبر الذى يسكن فيه خالى محارب والثانى يسكن فيه خالى وحيد ولكن خالى وحيد مسافر اوروبا ولم اراه منذ ولادتى فالبعض يقول انه متزوج فى السفر والبعض يقول ده مات وحكايات كثيرة عنه ولكن خالى محارب مسرور بسفر اخوه وحيد للاستيلاء على الاراضى وحده فبيت جدي كبير يقرب من خمسة قراريط او مايقرب من تسع مئات متر يلف البيت صور عالى تفتح الباب تجد جنينة ماتقرب من ثلاث مئة متر وفى وسطها طريق الى سلم البيت يقسم الجنينة المزروعة باشجار المانجة والجوافه وتكعيبة عنب تدخل أمى وانا معاها وعندما دخلت أمى من باب البيت فنظرة الى الجنينة وابتسمت وكأنما

تعيد ذكريات الماضى تنظر يمين وشمال فى عطف وحنان
- الله يرحمك يا ابا
دخلنا وصعدنا على السلم الذى يحطه عموديين يحملان سقف بلاكونة الدور التانى البيت مكون من طبقين ونحن نقف امام باب البيت من الداخل وعندما رأت أمى الباب مغلق ابتسمت ابتسامة ساخرة
- فى عهد ابويا الباب ده عمره ما اتقفل
وخبطت أمى على الباب وتفتح مرات خالى (انعام) وعندما تجد أمى على الباب تبتسم ابتسامة مصطنعة بالفرحة هى زوجة خالى محارب فى الثلاثين من العمر طويلة الى حد ما وجميلة وعندما فتحت الباب كانت ترتدى جلابية الوانها خضراء
_ اهلا صباح تعالي
_اهلا انعام عامله ايه
تأخذ أمى بالحضن وبعد الانتهاء من الترحيب المصطنع تدخل أمى وانا خلفها من الباب و انعام تغلق الباب
عندما تدخل بيت جدى تجد كل فرش البيت من الكنب والابواب والسجاد جديد هى ثرايا بمعني الكلمة وقبل ان نجلس تخلع أمى الشاش الاسمر من على راسها وتجلس على كنبة وتنظر لم تجد غير انعام فى البيت
_ امال فين محارب وعبد الرحيم وفين سميرة
_ موجدين بس محارب مريح فوق شويا وسميرة فى المطبخ
تنادى انعام الى سميرة لتأتى الينا
عندما رأت أمى سميرة تأتى عليها وقفت ترحب بسميرة هى بنت دون الخامسة والعشرين عام تساعد مرات خالى فى البيت من قبل

كانت أم سميرة امراه تخدم جدتى فى اعمال المنزل وابو سميرة متوفى وهم ليسو من البلد الذى نعيش بها وبعد وفاة أم سميرة تعمل سميرة مكان امها فى مساعده مرات خالى فى البيت هى بنت جميلة ترتدى جلابية خاصة بالعمل فى المنزل ترتدى اشرب الوان على راسها وشبشب بلاستيك

_ أم عماد

تأخذ أمى بالاحضان وبعد الترحيب

_ تشربى ايه

أمى بأبتسامة وفرح من القلب هو فى حد ينسي كوباية الشاى الى امك الله يرحمة عودتنا عليه

- دقيقة والشاى يكون جاهز

تدخل سميرة الى المطبخ ومرات خالى تتحدث مع أمى فى امور عادية وبعد قليل تعود سميرة وهى تحمل صينية عليها الشاى وبعدها تجلس جانب أمى وانعام يظهر عليها الحزن الشديد من جلوس سميرة جانب أمى والابتسامات بينهما

****

موت ابويا

فى هـذ اليـوم خـرج ابى ذاهـب عـلى العمـل فى تمـام السـاعة السـابعة صبـاح وانـا ومحمـد خرجنـا الى المدرسـة وبعـد اليـوم الـدراسى المعتـاد عدنـا الى البيـت وبعـد اذان العـصر لم يـاتى ابى مـن العمـل وأمـى يظهـر عليهـا القلـق

_ انما ابوك اخر

انـا واخـواتى نجلـس فى انتظـار ابى عـلى الحصـيرة وبجانبنـا عـدة الشـاى وأمـى امامهـا دفايـة

_تلاقى عربية الشغل اخرت عليه هناك

_ يمكن يابنى

ولكـن أمـى كأنهـا تعلـم ان ابى حـدث لـه شـيئا مـا يظهـر القلـق كلـما اقـترب اذان المغـرب تقـف أمـى عـلى السـلم تنظـر الى السـماء وكلـما غابـت الشـمس يزيـد القلـق يـدق البـاب دقـات سريعـة خلـف بعـض تجـرى أمـى مسرعـة نحـو البـاب تفتـح البـاب فتجـد رجـل كبـير فى السـن ذو بـشرة سـمراء بشـعر ابيـض قصـير متوسـط الطـول بشـنب خفيـف يرتـدى بالطـو الغفـر الطويـل يحمـل السـلاح المـيرى عـلى كتفـه اليمـين (عمـى محمـد) الغفـير

نخـرج انـا واخـى محمـد فى خـوف شـديد مـن الغرفـة ونمسـك فى رجـل أمـى وهـى تقـف بعـد ان فتحـت البـاب للغفـير والغفـير يتكلـم كانمـا يعـرف ان ابى مـات

_ صباح تعالى معايا

تغيرت ملامح أمى عندما سمعت هذا الجملة وفى زغفه

_ خير يا عمى محمد

_ العمدة عايزك دلوقتى

_ متعرفش ليه

_ بيقول ان علوان وابراهيم جوزك عملوا حادثه وهما راجعين من الشغل وبعتنى ليكى ولفاطمة عايزكم فى الثرايا دلوقتي

تتغير ملامح أمى فى صدمة

_ تعالا معايا ياعماد خليك جنب اختك يا محمد

تدخل أمى تسحب الجلابية السمراء والشاش الحرير ترتدى الجلابية والشاش على راسها وتسحبنى مسرعة نحو بيت العمدة بعد ان اغلقت الباب على محمد

وعندما وصلنا الى الثرايا هى ثرايا العمدة (خيرى) البيت الكبير للبلد عند دخول الثرايا تجد جنينة من الاشجار والنجيلة الخضراء تغذو الأرض وطريق يصل الى السلم وبعد صعود السلم تجد البارندا هى مكان قبل دخول باب البيت من الداخل فيها اربع كنبات وترابيزه عليها التليفون الارضى ويجلس العمدة جانب التليفون ويمسك العكاز وتصعد أمى وكان فى الخلف فاطمة وقفت أمى امام العمدة وفى نفس واحد هى وفاطمة

_ خير ياعمدة

يجلس العمدة ويسند على العكاز ويميل راسه على الأرض وعندما سمع الجملة

_ لا حول ولاقوة الا بالله

يرفع راسة وهو يتكلم انا جالى تليفون من المركز ان ابراهيم وعلوان عملوا حادثه بعربية الشغل ودخلوا الانعاش الاتنين وقبل

ان يكمل العمدة فى باقى الحديث يرن التليفون ويمسك العمدة السماعة ويرد

_ الو

_ ايه

تتغير ملامح العمدة وقبل ان يغلق السماعة

_ انا لله وانا اليه لراجعون

تقف أمى وفاطمة تنتظر لتعرف من منهم قد مات يبكى العمدة وينظر الى أمى

_ الباقيه فى حياتك يا صباح ابراهيم مات

صرخت أمى صرخه لم اراها من قبل فى حياتى وجلست على الأرض مغشى عليها والعمدة يبكى وانا وفاطمة نحضن فى أمى وكنت ابكى على بكاء أمى

مات ابى كلمة لم اعرف معناها وانا صغير ولكن احسست بها وانا اكبر دون أب ترك خلفه ثلاثة ابناء وامراه عدنا الى البيت وجاءت النساء فى انتظار ابى حتي يتم دفنه جميع النساء يرتدون الجلاليب السمراء ودخلنا انا واخواتى غرفتى جلسنا انا واخوتى على السرير نحضن بعضنا البعض خوفا من التجمعات فى الخارج وكانت صيحات أمى تهز الجدران على فراق ابى وتم دفن ابى فى اليوم الثانى من الحادث وعزاء ابى فى المنزل من النساء والرجال ثلاث أيام

****

غدا دون أب

وبعد فراق ابى بشهور جاءت الامتحانات وكنا نجلس انا ومحمد على السرير نمسك الكتب فى الغرفة الخاصة بنا وتدخل أمى علينا تجلس على السرير جنبنا تنظر الينا وتمد يدها على كتفى ابوكم الله يرحمه كان عايزكم تنجحوا فى المدرسة وانا كمان نفسى اشوفكم حاجة كبيرة

_ هننجح ياما ماتخفيش

تنظر أمى الى الغرفة وعلى الجدران وتنزل الدمعة من عينيها

******

وبعد الامتحانات وظهور النتيجة انا واخى محمد نجحنا وكنت يومها اتيت بالشهادتين انا ومحمد ودخلت على أمى وهى تجلس على الأرض وسط البيت ومحمد على يمينها وسعاد على شمالها فلم انسي هذا اللحظة فى حياتي ونجاحى وصعودى الى الصف الخامس عندما رأتنى

_ ايه ياعماد عملت ايه انت واخوك

اخرجت الشهادة من جيبى وانا اخرج الشهادة

_ نجحت انا ومحمد يامه

تخطف أمى الشهادة وتحضنها فى لهفة وتبوس الشهادة وتنظر الى السماء الحمدلله يارب شوفت يا ابراهيم عماد ومحمد نجحوا تحضن الورقة وتبكى بحرقة ولا اعرف لماذ تبكى أمى ولكن تأثرت بما تفعل فى كل عام كانت تفرح وتبتسم واليوم تفرح وتبكى ؟

****

وفى اليوم الثانى من النتيجة نذهب انا وأمى الى الأرض بالغداء الى

عمى عباس الذى يعمل فى الأرض نصل تحت الشجره ونفرش فرشه وتجلس أمى واخواتى الاثنين وأمى تحضر عدة الشاى

_ هات شوية بوص ياعماد علشان نعمل شاى لعمك عباس

وذهبت واتيت بالبوص واعطيت الى أمى ويأتى عمى عباس وهو يحمل الفأس على كتفه اليمين يرتدى جلابية قديمة الى حد ما ويربط حزام مىرى على وسطه

_ سلامو عليكم

_ وعليكم السلام ورحمة الله وبركات

تعالا اقعد ياعمى عباس

ويجلس عمى عباس والاكل امامه عيش ذرة وجبنة وطماطم ومخلل وأمى تجهز لعمل الشاى

_ ايه الأخبار ياعمى عباس

_ شغال فى القمح وبكره هخلص

_ انت عارف ياعمى عباس محدش بيسال على الأرض من يوم ما المرحوم ما مات

_ الله يرحمه انتى ماروحتيش لفاطمة

_ ليه

_ علوان رجع البيت من يومين

_ الحمدلله هبقي اروح اشوفه

_ ربنا يصبرها على ما بلاها

_ يارب ياعمى عباس

وبعد ما انتهي عمى عباس من الغداء وشرب الشاى لمينا العدة وتحمل أمى الباقى من الغداء ونذهب نحو البيت

*****

وفى اليوم الثانى نخرج انا وأمى نحو بيت عمى علون الذى كان مع ابى فى الحادثة وعند وصلنا الى بيت عمى علوان نقف امام الباب ندق تفتح فاطمة وهى ترتدى جلابة سمراء وعندما رات أمى بكت واخذت أمى بالحضن

_ تعالى ياصباح

ندخل انا وأمى داخل البيت المكون من اربعة غرف وحمام ومطبخ مقسم فى غرفة اخر البيت وسلم امام الباب وزير الماء خلف الباب يرقد عمى علوان فى أول غرفة على اليمين

_ فين ابو العيال

_ جوا اتفضلى

تقدمت فاطمة وتدخل الغرفة المتواجد فيها سرير على يمين الغرفة وفى الشمال تسريحة وفى الوجه دولاب و يرقد علوان على السرير لم يقم من الحادثة حتي الان ندخل انا وأمى نسلم عليه وهو لم يقوم

_ حمدلله على السلامة يا ابو عمر

_ الله يسلمك يا أم عماد

_ اقعدى اقعدى يا اختى

نجلس انا وأمى على فرشة على الأرض فى الغرفة

_ الباقية فى حياتك يا أم عماد

_ حياتك الباقية يا ابو عمر

_ تشربى ايه ياختى

_ مش هقدر اشرب حاجة انا جايه اشوف ابو عمر وهمشى على طول وبعد الحاح واصرار فاطمة اننا نشرب شاى وخرجت وسابتنا فى الغرفة مع عمى علوان

_ انا عارف انتي عايزه تسمعى ايه اللى حصل يوم الحادثة

_ ياريت يا ابو عمر

_ بعد ما خلصنا الوردية ركبنا العربية وكنت قاعد فى ناحية وابراهيم كان قاعد فى الناحية التانية من العربية وفجاءه لقينا نفسينا قدام جرار طفلة رمانا فى الخفية تحت العربية جت على ظهرى كسرته وجات على رقبه ابراهيم

تغمض أمى من بشاعه الحوار

واهو انا هعيش مشلول طول حياتى وابراهيم ارتاح من الذل اللى انا هشوفوا

_ وانت هتعمل ايه دلوقتي

_ مفيش يمكن يكون عندهم رحمه ويدونى معاش اعرف اعيش بيه انا والعيال

_ ازاى هو انته مش متأمن عليكم

_ اكيد بس

تقطعه أمى

_ بس ايه

_ مفيش ربنا يستر

وتدخل فاطمة ونشرب الشاى ونخرج من عند عمى علوان وعندما ندخل البيت انا وأمى تغلق أمى الباب وتجلس على الأرض وتضع يدها على خدها فى حزن شديد بما قال عمى علوان وتسرح فى التفكير وبعد وقت طويل فى التفكير تكلم نفسها

_ نروح نشوف هما مسالوش فينا ليه تنظر الى وهى تضع يدها على كتفى هنروح بكره انا وانت ياعماد الشركة اللى ابوك شغال فيها

_ ليه

_ من غير ليه يا ابنى

_ ماشى

فتسرح مره ثانية فى حزن شديد وهمسات الشفايف

*****

وفى الصباح لبست وخرجنا انا وأمى من البيت ومرينا على احد الجيران القريبين من البيت تخبط أمى على الباب خرجت ست كبيرة فى السن

_ صباح الخير ياخاله نعيمة

_ صباح النور ياصباح تعالى

_ لا مش وقته والنبى يا خاله انا سايبه العيال نايمه جوه وسيبت الباب مفتوح ابقى عدى عليهم كمان شويه هوصل لحد الشركة اللى كان شغال فيها المرحوم

_ عينى يا حبيبتى روحى وانا هخلى بالى منهم

_ تشكرى يا خاله

ونمشى انا وأمى من امام الباب ذاهبين نحو الشركة ومعى العنوان الذى اخذناه من عمى علوان نصل الى الطريق امام القرية فى انتظار سيارة تأخذنا الى الجيزة طريق مصر اسيوط الزرعى تأتى عربية ميكروباص من بعيد تشاور أمى تقف العربية امامنا

_ رايحه فين ياست

_ الجيزة ميدان عمر افندى

_ اركبى

نركب انا وأمى خلف السوق وكان الميكروباص يركب فيه اربعة رجال يظهر عليهم انهم ذاهبين على عملهم يركب جنب السوق

اتنين وفى اخر العربية اتنين وكل اتنين فى موضوع يخصه
_ الاجرة كام يا اسطى
_ اتنين جنية
تخرج أمى اتنين جنية من جيب الجلابيه واعطت للسواق
_ خد ياخويا
يأخذ السوق الفلوس وبعد ان وصلنا قرب الشركة يقف الميكروباص ويشاور السواق وهو يقول هتخشى على طول فى الشارع اللى فى وشك دا هتلاقى عمر افندى هناك هتسالى على العنوان الف مين هيد لك
_ شكرا ربنا يستر طريقك
ننزل انا وأمى وهى أول مره انزل فيها الجيزة فى حياتى ورأيت اكبر عددا من البشر يمشى فى الشارع والزحام والعربيات ونمشى انا وأمى فى الشارع نحو الشركة وأمى تمسك ايدى وانا انظر نحو المحلات من لبس واكل وبائعين على الرصيف وتمسك أمى الورقة وتوقف شاب يمسك كتاب فى يده يرتدى قميص وبنطلون يقف الشاب ينظر الى الورقة ويشاور الى العمارة المتواجد فيها الشركة تشكره أمى وتسحبنى من ايدى نقترب من عمارة خلف عمر افندى يجلس البواب امام العمارة رجل اسمر البشرة يجلس على كرسى خشب نقترب منه يقف من على الكرسى نسأله يهز راسه ونصعد على سلم رخام خمسة درجات ندخل من باب العمارة المزين بالمرايات وارضية رخام نمشى نحو سلم العمارة نصعد السلم فى اتجاه الدور التانى نصل الدور التانى شقة رقم اربعة باب خشب يافطه فوق الباب بأسم الشركة ندخل من الباب يجلس احد الموظفين على مكتب خلف الباب يمين رجل ابيض بشعر

اسمر يرتدى بدلة وجرفطه على قميص لبنى يحمل سلاح طبنجة صغيرة تظهر من خلف البدلة

_ اؤمرى يا ست

_ عايزه اقابل المدير

_ ليه

_ انا جوزى كان شغال معاكم هنا بس مات فى حادثة عربية من كام شهر

يخرج من خلف المكتب ويتقدمنا ندخل الاستراحه مكان كبير يحطهُ كنب مكسو قطن وجلد اسمر وفى كل ركن ترابيزة صغيرة عليها طفاية سجاير

_ اتفضلى هنا وانا هخليكى تدخلى كمان شويه

_ تُشكر ياخويا

نجلس انا وأمى وهى تفكر فى ماذا تقول للرجل الذى تقابله بعد قليل يأتى الموظف بعد ان اخبر المدير بقليل

_ تعالى ياست المدير فى انتظارك

نقف انا وأمى نمشى نحو المكتب يدق الموظف مرتين على الباب ويفتح الباب

_ ادخلى ياست

ندخل المكتب نجد رجل كبير يقرب سن الستين من العمر شعره ابيض بشرة بيضاء يجلس على المكتب الزجاج على كرسى فخم وامام المكتب كرسين وترابيزة صغيرة بين الكرسين وينظر فى دوسيه امامه عندما ندخل عليه ينظر

_ اتفضلى

وبأبتسامة خفيفه ويشاور بيده نحو الكرسى

_ اتفضلى ياست

_ شكرا يا بيه

نجلس انا وأمى على الكرسيين فى مقابل المكتب

_ اتفضلى اؤمرى

_ انا جوزى كان شغال فى الشركة عندكم وعمل حادثه وهو راجع من الشغل ومات ومن يومها محدش سأل فينا لا بمعاش ولا تأمين ولا مكافأة وانت شايف العيشه عامله ازاى يابيه وسايب كوم لحم وراه

يتأثر المدير من كلام أمى

_ شوفى ياست انا لسه جديد هنا من بعد الحادثة باسبوع

لما مشوا المدير اللى كان موجود أيام الحادثة ويمسك الدوسية الذى امامه »

_ ده ورق ابراهيم جوزك الله يرحمه ينظرللورق للاسف

جوزك بيمضى على استقالة قبل مايتعين فى الشركة والمدير اللى قبلى كاتب فى الاستقالة تاريخ قبل الحادثة بيومين يعنى جوزك مالوش حق عند الشركة

تتغير ملامح أمى وفى حزن شديد

_ ازاى ده يعنى حقه راح حسبى الله ونعم الوكيل

_ اهدى بس ياست انا مفيش فى ايدى حاجة اعملهلكم ودى شركة اجنبية والدولة مديالها الحق فى كدا

_ يعنى الدولة تضيع حق جوزى علشان الشركة اجنبية حسبى الله ونعم الوكيل

وبعد حوار طويل بين أمى والمدير لم نأخذ حق فى الشركة ونخرج من الشركة وننزل على السلم وكانت الشركة فى الدور الثانى ولكن

بعد هذا الحوار احسست اننا ننزل من اعلي برج فكان اطول سلم تنزله أمى وتمد قدمها وتتحسس درجات السلم سلمة سلمة وهى تفكر بما دار وكيف تمر الايام دون معاش

نمر انا أمى الطريق وهى سرحانه تأتى عربية ملاكى حمراء موديل ٨٠ مرسيدس بسرعة وكادت ان تدهسنا لولا وقفت بالقرب منا على اخر لحظة ينزل السائق من العربية رجل فى سن الخمسين يرتدى بد لة

_ ايه يابنتى مش تخلى بالك

_ معلش يا بية

ونعدى الطريق الى الموقف الذى نركب منه الى البيت

ونعود الى البيت وتفتح أمى الباب وتجلس على الأرض من التعب وتنظر الي

_ شوف اخواتك وهاتهم

ذهبت الى بيت الجيران واتيت باخواتى وعدنا الى البيت ويجلسان اخوتى جانب أمى وهى مرهقه من مشوار اليوم تأخذ أمى نفس عميق وتقوم تجهز الغداء

نجلس انا واخوتى على الأرض فى وسط البيت وتأتى أمى بالطبليه وتضعها على الأرض وتدخل تأتى بطبق فيه جبنة وعيش ذرة وبعد الغداء

تقف أمى وانا معاها

_ رايحه عند خالك يامحمد وراجعه على طول خليك جنب اختك

_ اجى معاكي

وتمسك سعاد فى أمى

_ انا راجعه على طول يا حبيتى

تجلس سعاد فى حزن ونخرج من الباب انا وأمى وتغلق الباب على اخواتى ذاهبين نحو منزل خالى محارب ندخل الجنينة ندق على الباب تفتح سميرة

_ اهلا أم عماد

_ اهلا يا سميرة

_ تعالى ادخلى

_ فين ابو عبد الرحمن

_ مش موجود خير

_ خير ان شاءالله لما يجى قوليله يجيلى البيت

_ طب ادخلي استنيه جوه

_ لا مالوش لزوم

نعود انا وأمى من بيت خالى وكانت أمى يظهر عليها غضب من محارب الذى لم يسأل علينا من يوم وفاة ابى وبعد ذلك عرفنا بما دار بين محارب وانعام مرات خالى محارب دخل محارب البيت مع انعام وعبد الرحيم ويحملان شنط لبس جديده وعند دخوله من الباب وهم مبسوطين من الفسحة الذى كان فيها

_ خش يالا كل شهر ابقي افسحكم فى المكان ده

_ ربنا يخليك لينا يارب وميحرمناش منك

تحس سميرة ان محارب قد عاد من الخارج تجرى وتقابله

_ ابو عبد الرحيم اختك صباح جت هنا وباين عليها زعلان وعايزك تروحلها

تنظر انعام الى محارب باستغراب

_ خير فى حاجة حصلت

_ مش عارفه بس باين فيه

_ خلاص اتغدا ويبقي روح شوف اختك عايزك فى ايه
_ ماشى نتغدا وابقي اروح وانا كمان كنت عايزها فى موضوع كدا
_ حضرى الغدا يا سميرة عقبال ما اغير هدومى
يصعد محارب مع انعام الى فوق لتغير ملابسهم وبعد ان حضرت سميرة الغداء وهم على السفرة مكونه من ست كراسى يجلس محارب على راس السفرة وتجلس انعام على شمال محارب ويجلس عبد الرحيم على اليمين وتأتى سميرة بباقى الغداء من المطبخ وهم يأكلان
_ تفتكر صباح عايزاك فى ايه
_ والله مش عارف بس انتى شايفه من يوم ما مات ابراهيم انا مابروحش هناك علشان الموضوع القديم
_ اهو انا حاسه ان هى عايزاك علشان الموضوع ده
_ مين عارف ياخبر بفلوس كمان شويه يبقي ببلاش
_ خلى بالك الأرض والبيت عايزاهم يتكتبوا باسم عبد الرحيم علشان محدش يفكر يفتح الموضوع
_ هشوف الاول هى عايزنى فى ايه وانا كمان عايزها علشان الموضوع الى كلمتك فيه
_ اهو الموضوع ده كويس واهو يربى العيال معاه
يفرغ محارب من الغداء ويمسك الفوطه
_ الحمدلله اروح اشرب الشاى هناك علشان ارجع على طول
ويخرج محارب من البيت فى اتجاه بيتنا

*****

نجلس انا وأمى واخوتى حول أمى فى وسط البيت على الحصيره المشمع ويدق الباب اقوم افتح الباب اجد خلى محارب

_ عامل ايه ياعماد

_ تمام ياخال

يدخل خالى من امام الباب يجد أمى فى وسط البيت فى حزن شديد ويجلس فى المقابل

_ ايه مالك ياصباح قاعده كدا ليه

_ مفيش هات العدة ياعماد

ادخل المطبخ أتي بعدة الشاى واعطيها الى أمى واجلس

_ كنت انهارده فى الشركة اللى كان شغال فيها ابراهيم

_ ليه

_ مفيش من يوم ما مات ابراهيم وهما مش ناويين يدونى معاش اعيش بيه انا والعيال

_ وبعدين

_ ولا قبلين انا قلت اقولك يمكن تعرف تتصرف

_ واتصرف ازاى وانا اعرف الناس دى منين

ينتظر دقيقة وهو يفكر فى امر ما وبعد التفكير

_ بقول ايه

_ قول يا ابو عبد الرحيم يا اخويا

ينظر الي والى اخواتى

_ قوم خد اخواتك وخش جوا يا عماد

_ لا اتكلم العيال صغيره متعرفش حاجة قول انت عايز تقول ايه

_ فى واحد هو اللى هيساعدك تربى العيال

_ مين

_ الحاج حمدان جالى امبارح وعايز يتجوزك

وقالى العيال هعتبرها عيالى وهعلمهم وكافه شئ والى هي

عايـزاه انـا هعملـه
تنظر اليه أمى بأستغراب ودهشة وتبتسم ابتسامة مصطنعة
_ عايزنى اتجوز بعد ابو العيال يامحارب
_ لا هو عيب ولا حرام
_ وارنى عيالى فى بيت راجل غريب
_ هيبقي ابوهم
_ لا يامحارب وفر كلامك انا كنت فكراك هتعرف انا بعتالك ليه
_ اسمعينى بس
تقطع أمى الكلام
_ اسمع انت يامحارب جواز بعد ابراهيم مش هتجوز
انا عايزك فى موضوع تانى
_ ايه
_ انـت شـايف الحـال الـلى انـا فيـه انـا والعيـال فكنـت عايـزك تحنـن قلبـك عليـا وتدينـى ورث ابويـا فى البيـت والارض وانـا
يقطـع خـالى محـارب الـكلام ويقـف زعـلان كأنمـا اسـد غاضـب فى الغابة ولا احـد يقـف امامه
_ ورث ايـه الـلى بتتكلمـى فيـه كام مـره قولـت ابـوكى بعـلى الأرض والبيـت والـورق معايـا
تقف أمى امامه وتستعطفه
_ واللـه ابويـا ميعملـش كـدا اسـمع بـس انـا اختـك يرضيـك اختـك تتهـان قـدام النـاس وانـا عنـدى ارض وبيـت
_ اسـمعى ياختـى انـا خلصـت الـكلام الـلى عنـدى ومـن غـير سـلامو عليكـو
ويخـرج محـارب مـن البـاب وهـو غضبـان مـن كلام أمـى ويغلـق البـاب

خلفه تجلس أمى وتبكى وتأخذنا فى حضنها
ندخل بعد ساعات للنوم فى غرفتنا انام انا واخواتى وأمى لم يأتى اليها نوم فى هذا الليله وعند أول ضوء للنهار تذهب أمى على بيت العمدة وتدخل تنادى يخرج احد ابناء العمدة علينا شاب فى سنة الخمسة والعشرين طويل القامة يرتدى جلابية لبنى بشعر طويل اسمر بشرته بيضاء محمود ابن العمدة وهو يعرف أمى وأمى تعرفة

_ تعالى تعالى يا أم عماد اتفضلى

_ شكرا يا محمود ابعتلى ابوك والنبى

_ مش موجود تعالى استنيه جوا عند أمى

_ لا بعدين انا عايزه ضرورى

_ هو وصل لحد المركز وراجع على طول بس ادخلي استنيه عيب تيجى وماتشربيش حاجة

_ نشرب يوم فرحك انشاء الله سلامو عليكو

ونغادر انا وأمى من امام بيت العمدة نحو بيتنا وتجلس أمى على سلم البيت تفكر ماذا تفعل فى هذا الايام وبعد قليل من عودتنا يدق الباب افتح اجد العمدة

_ فين امك ياعماد

تسمع أمى صوت العمدة فتأتى نحو الباب

_ تعالا خش ياعم

يدخل العمدة خيرى من الباب ويترك الباب مفتوج وتأتى أمى بالحصيرة وتفرش الحصيرة ويجلس على الأرض تدخل أمى وتأتى بمخده من جوا وتضعها خلف ظهر العمدة خيرى

_ بس خلاص ايه خير يا بنتى انا لسه راجع من المركز قابلنى

(محمـود) وبيقـولى بنـت صاحبـك عايـزك ايـه خـير
تجلس أمى وهى مكسورة النفس امام العمدة
_ شـوف ياعمـى انـا هكلمـك بحكـم صحوبيتـك مـع ابويـا وبعتـبرك انـت الـلى مربينـا مـع ابويـا
_ قولى يا بنتى انتي بنت الغالى الله يرحمك ياعبد الرحيم
دا كان احسـن مـن الاخ علشـان كـدا محبـش اشـوفك مكسـورة كـدا فى حـد مزعلـك
تحـكى أمـى مـا دار بينهـا وبـين خـالى محـارب ومـا دار فى الشركـة ويسـمع العمـدة وهـو متأثـر مـن الحـوار
_ شوفى يا بنتى انتى عايزه ايه وانا هعمله
_ انا مش عايزه الا حقى فى الأرض والبيوت اللى ابويا سيبها
_ بس محارب بيقول انه معاه ورق ان ابوكى كتبله كل حاجة
_ انت تعرف عن ابويا كدا ياعمدة انت اكتر واحد تعرف ابويا
_ الصراحـة لا عمـر عبدالرحيـم ماظلـم حـد مـن اهـل البلـد هيجـى قبـل مـا يمـوت هيظلـم عيالـه
_ طب والعمل ياعم
يمسك العمدة العكاز ويفكر كيف يساعد أمى وبعد التفكير
_ شـوفى ياصبـاح موضـوع الشركـة مالكيـش دعـوه بيـه انتـى عارفـه (احمـد) ابنـى الكبـير محامـى فى مـصر هخليـه يرفـع قضيـة ضـد الشركـة وياخـد حكـم فيهـا بـس انتـى عارفـه المحاكـم احبالهـا طويلـة امـا بالنسـبة لمحـارب انـا مبحبـش اتكلـم معـاه علشـان منخشـش فى خـلاف بـس هقولـك انـا هاخـد عـماد ونـروح ليـه علشـان يعـرف انى جـاى مـن عنـدك ايـه رايـك
تفكر أمى فى الكلام وتنظر الى العمدة

_ اللى تشوفه ياعم
نخرج من بيتنا انا والعمدة خيري نحو بيت خالى محارب
وعندما وصلنا امام البيت رفع العمدة العكاز وخبط على الباب
تفتح سميرة وعندما ترى العمدة تبتسم لانها تعرفه من يوم
ماكانت مع امها تخدم عند جدى
_ ايه ازيك ياسميرة يا بنتى عامل ايه
_ الحمدلله ياعمدة
_ الحمدلله محارب موجود
_ موجود اتفضل
ندخل انا والعمدة ونمشى نحو الصالة وينظر العمدة الى البيت
من فوق لتحت
_ الله يرحمك ياعبد الرحيم
ونجلس فى الصالة
_ هطلع اعرفه انك هنا ياعمدة
_ ماشى يا بنتى
_ هتشرب ايه بعد ما انزل
_ الله يرحمك يا أم سميرة امك عمرها ماسألت السؤال ده بس
انتى عشان مشفتنيش هنا كتير شاى ياسميرة
ومن الواضح ان العمدة خيرى كان صاحب جدى الاقرب اليه فى
البيت وفى العيشة من نظراته الى البيت ونظر ليا
_ انا مدخلتش هنا ياعماد من يوم ما جدك مات الله يرحمه
بس كان البيت ليه نفس وروح تحب تقعد فيه تعالا دلوقتي راح
جدك وخالك ساكن البيت وقفل البيت مبقاش ليه نفس ولا روح
قطع النفس وفطس الروح

ينـزل خـالي محـارب مـن عـلي السـلم وهـو يرتـدي جلابيـة والعبايـه فوقهـا

ويأتى علينا

_ يامرحب بالعمدة

يقف العمدة وهو ينظر الى محارب نظرة غضب

_ الله يرحب بيك

_ اتفضل ياعمدة اتفضل

يجلـس العمـدة ويجلـس خـالى محـارب عـلى الكـرسى جانـب الكنبـة الجالـس عليهـا العمـدة وانـا اجلـس جانـب العمـدة وينظـر خـالى محـارب الي وينظـر العمـدة ليـا مـع نظـرة خـالى

_ اظن انت كدا عرفت انا جاى ليه

_ ايوه كدا عرفت بس الموضوع خلصان من قبل ما يبدء

_ شـوف يامحـارب انـت مـن دور عيـالى انـا مـش هطـول فى الـكلام انـا اعـرف ابـوك مـن قبـل مايتجـوز امـك اللـه يرحمهـا ويخلفـك انـت واخوتـك عبـد الرحيـم عمـره ماظلـم حـد هيجـى فى اخـر عمـره يكتـب الـورث كلـه ليـك لوحـدك

_ اهو عمل كدا وبعدين فى ايه اختى عايزهايه هى هتشحت

يقطعه العمدة بصوت عالى وانفعال

_ اخـرس قطـع لسـانك انـا عرفـك كويـس وعـارف اختـك واعـرف مـين فيكـم الـلى بيحـب ياخـد حـق التـانى انـا

لمـا كنـت باجـى اقعـد مـع ابـوك وانتـه لسـه عيـال صغيريـن انـت وصبـاح ووحيـد ربنـا يكتـب سـلامته كنـت اطلـع تعريفـة واديهالكـم تـروح تجيـب حاجـة انـت واخواتـك كنـت تيجـى تخطـف الـلى فى ايـد صبـاح ووحيـد واجـى انـا وابـوك نقولـك ادى لاخواتـك ماترضـاش

يسمع خالى هذا الكلام وهو يظهر عليه الخجل من العمدة لتذكيره الماضى

_ من يومك وانت انانى وبتحب نفسك

_ نهاية الكلام

يقطع العمدة محارب فى انفعال

_ اسمع انت عارف كويس انا ممكن اخد حق اختك منك ازاى بس انا عامل حساب لعضم التربة

_ والله انا معايا ورق الأرض والبيت والى يعرف يعمل حاجة يعملها

يقف العمدة وهو غضبان من الكلام يمسك ايدى وتأتى سميرة بالشاى تنزل الشاى فتجد العمدة وقف

_ الشاى ياعمدة

_ انا عمرى ماشربت ولا كلت حرام شيلى الشاى يابنتى اخاف اشرب حاجة من مال ايتام

ويخرج العمدة وانا معاه ويغلق الباب بقوة يذهب العمدة نحو بيته قرب بيته اتعجب لم يعد الى بيتنا

_ هو احنا رايحين فين ياعمدة

_ ماتخفش يا حبيبى هنروح البيت علشان افتكر اكلم ابنى احمد المحامى

نصل بيت العمدة ويجلس فى البراندا جانب التليفون ويستريح من تعب الطريق وهو يتنفس كما يتنفس التنين يخرج نار من فمه ويفرك يديه فى بعض وبعد دقيقه يمسك سماعة التليفون

ويطلب رقم ابنه المحامى ينتظر قليل على السماعة

_ الو

_ ايوه يا احمد عامل ايه

_ الحمدلله

_ كلهم بخير الحمدلله

_ وانت عيالك عاملين ايه

_ تمام الحمدلله

_ اسمع يا احمد

_ انا عايزك فى موضوعين مهمين

_ أول هام فى جماعة من اهل البلد كانو شغلين فى شركة امن عندك فى مصر تمام وبعدين عملوا حادثه وهما راجعين من الشغل واحد مات والتانى ضهره اتكسر مش بيقوم من على السرير رحنا الشركة قالو مالكوش حاجة

_ طب اعرف الشركة اسمه ايه والعنوان وهكلمك

_ تانى هام انت تعرف صباح بنت عمك عبد الرحيم الله يرحمه

_ ايوه يا ابني دى كان جوزها من الناس اللى ماتت فى الحادثه بتاعة الشركة اللى هبعتلك العنوان بتاعها

_ ايوه

_ لا انا عايزك ترفع اتنين

_ وحده على الشركة

_ ووحده على محارب ابن عمك عبد الرحيم

_ لا لا يا ابنى اسمعنى هو هيزعلنى انا ليه

_ افهمنى بس سى محارب مزور ورق بأن ابوه بيعلوا الأرض والبيوت باسمه

_ ايوه الله يفتح عليك يا ابنى

_ اى حاجة فى القضيتن انا سداد

_ ربنا يخليك والنبى يا ابنى الناس دى تعبانة فى العيشه فخلى بالك من الموضوع اوى

_ ماشى يا ابنى وهكلمك تانى انهارده لما اروح اجيب العنوان

_ مع الف سلامة

يُنزل العمدة السماعة من على اذنه ويضعها على التليفون وينظر الي ويقول

_ بس كدا كدا محارب يعرفنى ازاى ابوه كتبله الورق ده

ويدخل يده فى جيبه ويخرج محفظه بنى اللون كبيرة منفوشة من الاوراق والفلوس ويخرج عشرة جنية ويعطيها اليه

_ امسك يا عماد ادى دى لامك كنت واخدها منها من كام يوم نظرت للعشرة جنيه وانا اعرف ان أمى لم تعطى الى العمدة شيئا ولكن عندما نظرت فى عين العمدة احسست احساس غريب اننى امد يدى واخذ العشرة جنيه ويدخل العمدة المحفظة فى الجلابية

_ روح انت دلوقتي وانا هبقي هعدى عليكم كمان كام يوم ويبقي وصل لامك الفلوس

قومت وذهبت من امام العمدة نحو بيتنا وعندما وصلت واخبرت أمى بما دار فامسكت العشرة جنية من ايدى وهى حزينة وضغطت عليها فى ايدها وهى فى حزن شديد

وبعد شهور اقتربت المدارس ولم يأتى الينا اللبس ولا فى اى تجهيزات للعام الدراسى ونجلس فى الصباح على الفطار وطرق باب البيت قمت افتح الباب فوجدت بنت الجيران عايزه أمى

_ فين امك

_ جوه

تدخل البنت من الباب الى أمى وأمى تجلس على طبليه الفطاره

وهـى تنظـر الى البنـت

_ أم عيد عايزاكى فى البيت

_ خير مش عارفة

_ طب هفطر العيال وجايه

تخـرج البنـت مـن البيـت و اقفـل البـاب واجلـس عـلى الفطـار وبعـد مـا انتهينـا مـن الفطـار

_ تعالا يا عماد نشوف خالتك أم عيد عايزه ايه

نخـرج انـا وأمـى نحـو أم عيـد وعنـد البيـت تطـرق أمـى البـاب تفتـح البنـت ونجـد أم كريـم وخالتـى سـعديه وام عيـد يجلسـان امـام الفـرن يخبـزان عندمـا رأتهـم أمـى ابتسـمت ابتسـامة خفيفـة وهـى تدخـل عليهـم

_ وانا اقول هما بعتولى ليه علشان كدا

_ يبتسموا الثلاثه

_ احنا قولنا محدش هيرمى فى الفرن بتاعنا الا صباح

_ عينى يا خالة

تجلس أمى امام الفرن ويبدء الخبيز

وبعدمـا انتهينـا مـن الخبيـز وذهبـت أم كريـم وسـعديه قبـل أمـى وفضلـت أمـى وام عيـد وأمـى تنظـف ملابسـها مـن الدقيـق

_ تؤمرينى بحاجة تانى يا خالة

تـأتى أم عيـد تحمـل حلـة فيهـا جبنـة وسـمن وتعطيهـا الى أمـى وقبـل ان تتكلـم أمـى تقـول أم عيـد

_ والله العظيم لاخاصمك مدي الحياة لو ماختديش الحاجة دى

_ بس

تقطع أم عيد أمى

_ مفيش بس والله العظيم ما اكلمك تانى
وتخرج خمسة جنية من ايدها وتعطينى فى ايدى
_ امسك ياعماد
وانا وأمى نمتنع عن اخذ الفلوس
_ عيب بقي
_ ينفع تكسفينى
_ كفاية كدا يا خالة
_ انا حالفه
_ طب خد من ستك ياعماد
مديت ايدى واخذت الفلوس
_ ربنا يقويكى عليهم يا بنتى

تحمل أمى الحلة وانا امسك الخمسة جنية فى ايدى ونخرج من عند أم عيد ذاهبين الى البيت وكانت أول مره تأخذ أمى فلوس او جبنة مقابل خدمة وعندما قالتلى خد من ستك فكان أول جرح اتجرحته فى حياتى وبعد عودتنا الى البيت انزلت امي حلة الجبنة ونظرت الى الخمسة جنية والحلة وحزنت حزن شديد واحسست ان أمى انجرحت جرح اكبر من جرحى فهدأت نفسى بعد غضب طفل بدات اتعاطف مع أمى من هذا اليوم

وبعد عدة أيام من هذا الموقف يبقي اسبوع على المدرسة ولم نأتى بلبس فقررت انا واخى نبحث فى البيت لابتكار لبس نظيف او به اى قطعه صغيره ووجدنا لبس من العام الماضى وخرجنا انا ومحمد الى أمى وعلمتها اننا سنلبس هذا اللبس فى المدرسة واقنعتها باللبس انه سيكون جيدا للمدرسة وبالفعل اخذتنى انا ومحمد في حضنها وفى أول يوم من المدرسة ذهبنا انا واخى محمد

وجلست فى الفصل بين زملائى فالكل يرتدى لبس جديد الا انا وكان احسن لبس فى الفصل كان عبد الرحيم ابن خالى وها انا انتظر الجرح الثانى فى قلبى دخل الناظر رجل فى الاربعين من العمره يرتدى قميص وبنطلون ذو بشره قمحوى ويمسك عصي فى يده اليمين عندما دخل الناظر وقف الفصل

نظر الناظر الى الواقفين

_ اللى ماخدش الكتب يخليه واقف واللى خد الكتب يقعد

جلس الجميع الا انا فكان الجرح الثانى الي منذ ان مات ابى

_ بس انت يتيم

خرج الناظر وجلست انا بعد الكلمة ودخل مدرس اخر وبعد دقائق جاء الناظر يحمل الكتب دخل اعطانى الكتب وخرج ونظر الي الجميع من التلاميذ بأستعطاف وبعدها عدٌت الى البيت فاتذكرت نظارات الجميع الي وانا جالس مع نفسى فى الغرفة فقررت ان انسي ماحدث وابدء فى دروسي وبعد أيام من ضيق الحال اتي شهر رمضان علينا ولم يكن في البيت جنية واحد فكانت أمى تفطرنا انا واخواتي الصغار خوفا من ان لم نجد فطار فى نهاية اليوم الا أمى فكانت تصوم وتفطر اى شئ جبنة عيش ومخلل فكانت الامور تضيق يوم عن يوم وفات عشرين يوم من رمضان ويبقي عشرة أيام فكانت أمى تذهب الى الجيران تساعدهم فى خبيز العيد وتاخذ مقابل ولكن ما تأتى به امي يسد الجوع فقط

****

غدا العيد

اليوم هو وقفة العيد وانا اعرف انه في مثل هذه الايام كان يأتى الينا لبس جديد وما الفرق بين اليوم بالبارحه فكان يأتى اللبس فى المدرسة وفى العيد وليست مشكلتى انما هى مشكلة اخواتي الذين لا يفهموا ما الوضع الذى نمربه نجلس انا واخواتي امام الباب فى انتظار عودة امي من الخبيز عند الجيران وقد اقتربت الشمس من الغروب ولم تأتى امي وانا ومحمد وسعاد ننظر يمين ويسار مثل الاغنام الذي تنتظر الراعى يأتي اليها بالطعام وها هى قد هلت علينا من بعيد أمى تحمل صينية المونيا صغيرة وعليها جلابية تغطى ما فى الصينية وكانت فى سعاد اختي عادة عندما تأتى أمى من مكان تسرع عليها لتقابلها فتجري سعاد نحو أمى واقف انا ومحمد وتفتح أمى الباب على ذراعيه حتي تدخل بالصينية المحملة بالعيش والجبنة والسمن وعندما خطت أمى عتبة الباب اذنت المغرب

_ الله اعظم والعزة لله

_ يالا ياولاد علشان نفطر

_ تنزل أمى الصينية من على راسها على الأرض وتخلع الجلابية السمراء والشاش وتجلس تعبانه من خبيز طول النهار ونجلس انا واخواتى على الصينية لنأكل

_ بسم الله الرحمن الرحيم اللهم لك صومت و على رزقك افطرت

ينظر محمد الى أمى

_ هـو احنـا مـش هنجيـب لبـس النهـارده عشـان العيـد بكـرة تنظـر اليـه أمـى وتبتسـم ابتسـامة حـزن شـديده سـعاد بلغـة الاطفـال

_ انا عايزة تلابية عشان العيد

تمـد أمـى ايدهـا عـلى سـعاد وتطبطـب عليهـا وبعـد الفطـار اتي احـد طـرق عـلى البـاب وعندمـا فتحـت البـاب لم اجـد احـد ولكـن وجـدت لفـة صغـيرة عـلى الأرض

_ مين ياعماد

_ مفيش حد

تـأتي أمـى نحـو البـاب وتنظـر عـلى الأرض تجـد اللفـة تمسـك أمـى اللفـة بأسـتغراب

_ ايه ده

تفتـح أمـى اللفـة كيـس بلاسـتيك فى داخلـة كيـس ثـانى نفتـح الاكيـاس نجـد مـا يقـرب مـن اتنـين كيلـو مـن السـمك وورقـة

_ شوف ايه اللى مكتوب فى الورقة دى يا ابنى

امسك الورقة واقرأ

_ مكتوب عليها ده فطار عماد واخواته فاعل خير

تنظـر أمـى الى السـماء وندخـل ونغلـق البـاب وفى هـذا اليـوم ننـام انـا واخـوتى ولكـن امـي لم تنـام مـن تنظيـف السـمك الـذى سـنفطر بيـه أول أيـام العيـد غـدا وبعـد مـا انتهـت مـن تنظيـف السـمك بحثـت في الـدولاب لـكي تجـد ملابـس لى و لمحمـد نصـلى بيـه العيـد تبحـث فـوق وتحـت وتجـد جلابيـة ليـا ولاخـى ولكـن كان فيهـم قطـوع فى الطـرف لم تنـام حتـي اجهـزة الجلاليـب لى ولاخـى وكان لـدى حـذاء لى ولاخـى ابيـض يسـمي البـوت الابيـض كانـت أمـى تقطـع مـن بـوت محمـد وتلحـم فى البـوت الخـاص بى تـأتى أمـى بالمعلقـة وتضعـه عـلي

الا سـطوفيا وهـى مـا تجهزامـى عليهـا الشـاى تشـتعل بالجـاز والشرايـط وجهـزت أمـى الينـا كل شى حتـي نحـضر العيـد

****

يوم العيد

تدخل أمى علينا ونحن نائمين فى صباح يوم العيد تقول عماد محمد قوموا يا حبيبى علشان تصلوا العيد
نستيقظ انا ومحمد وتسحب أمى الغطاء من على اجسامنا قوموا اغسلوا وشكم والبسو الهدوم دى هتبقي عليكم زيى الفل
ننهض انا ومحمد من على السرير ونذهب نحو الحمام نغسل انفسنا ونتوضا ونخرج من البيت باللبس الذى احضرته أمى ونسمع مكبر المسجد يكبر تكبيرات العيد وعندما خرجنا امام البيت نجد كل أب وجنبه ابنه يرتديان الجلاليب الجديده ويكبرون وهم ذاهبين الى المسجد نصل الى مسجد القرية الكبير يتزين المسجد بزينة رمضان من الخارج ونخلع الحذاء وندخل انا واخى المسجد ونجلس ونكبر وانظر يمين ويسار وامامى وخلفى اجد كل ابن مع ابوه الا انا ومحمد نجلس جنب بعض احزن على ما انا فيه

(شكرا يا أمى أحضرتى كل شى ولم يحضر أبى)

اليوم احسست لاول مره اننى يتيم الاب انتهينا من صلاة العيد ومثل كل عيد يقف العمدة عند باب المسجد هو وابناء على صف ليهنئ اهل القرية بالعيد ونخرج انا ومحمد من باب المسجد ونسلم على العمدة ويبتسم ويميل علي ويحضننى ويخرج المحفظة من جيبه ويعطينى خمسة جنيه ومحمد خمسة جنية ويلاحظ انى محروج من ما فعل فنظر الى الخلف وجد رجل من اهل القرية

معه ولد ينادى عليه وسلم على الرجل وعلى ابنه ويعطى الولد عدية مثل ما اعطانا حتي لا نشعر بالاهانة امام الناس وابتسمت ابتسامة وهو يضع ايده على راسى ويسحبنى اقف جانبه انا ومحمد وبعد الانتهاء من التهانى نعود انا واخى الى البيت نطرق على الباب تفتح أمى ندخل احب على يد أمى

_ كل سنة وانتى طيبة

وهى تميل على راسى وتحبها

_ وانتى طيبة يا حبيبى

ومحمد يفعل مثل ما افعل تأخذنا الى الداخل وهى تحضر الفطار

_ تعالو تعالو يا ولاد نفطر يا لا يا سعاد هاتى العيش من عندك

تأتى سعاد بالعيش من الداخل وتجلس على الطبلية لنفطر أول أيام العيد

وبعد الفطار جلسنا حول أمى لكى تعمل شاى وتفتح أمى الباب نصف فتحة فى انتظار احد ما يدخل علينا فا انا اعرف انها تنتظر خالى محارب يدخل علينا مثل كل عام فقط انقطع عن زيارتنا من يوم ما كنت عنده انا والعمدة ولكن كنا صغار وننتظر يوم العيد من سيأتى الينا ويعطينا العيديه وانا اتكلم مع أمى واقول له بما دار بيننا وبين العمدة فى المسجد وتبتسم أمى ويخرج محمد الخمسة جنيه من جيبة وانا ويقول محمد

_ كده انا معايا خمسة جنية وخالى محارب هيجى يدينى كمان خمسة

أمى فى حزن شديد وهى تهمس بصوت خفيف

_ ياريت يا ابنى

وتبكى سعاد على الخمسة جنية عايزه هى كمان عدية ويطرق

الباب فتفرح أمى بما سمعت احد ينادى عليا

_ عماد ياض ياعماد

تجرى أمى وهى تمسح عينها تفتح الباب بفرح على وجهها فتجد العمدة خيرى تنظر اليها

_ تعالا ياعم

يمد يده ويسلم على أمى وهويدخل من الباب

_ كل سنة وانتى طيبة يا صباح

_ وانت طيب ياعم

تدخل أمى تأتى بفرشة ثانية وتفرش الى العمدة على الأرض وتدخل تأتى بمخده من القطن وتضعها خلف العمدة

_ انا قولت اعدى اعيد عليكى وكمان اشوف البت الصغيرة

يجد سعاد تبكي ينادى عليها

_ خدى يا حبيبتى

تأتى سعاد وتجلس على رجل العمدة وهو يستقبلها ويمد ايده

_ اهلا اهلا

تجلس أمى تُحضر الشاى للعمدة

_ ايه هو انتي بتعيطى ليه خدى

_ يخرج المحفظة ويخرج خمسة جنية ثانية وهو يخرج المحفظة تمتنع أمى

_ كفايه اللى اديتة لعماد ومحمد ياعم

وهويخرج الفلوس ويعطى لسعاد خمسة جنية وانا اعرف ان الخمسة جنيه كتير فى هذا الزمان وينظر الى أمى

_ فاكره ياصباح لما كنت اجى عندكم يوم العيد زى دلوقتي واديكى المليم والتعريفة انتى واخواتك وكان ابوكى زيك كدا يفضل يقولى

كفايـة كفايـة ياخـيرى اللـه يرحمـه نفـس الصـوت ونفـس الطبـع
تبتسـم أمـى عـلى هـذا الـكلام بابتسـامة ترجعهـا الى الزمـان الـذى يحـكى عنـه العمـدة
_ الله يرحمك يا ابا
_ انـا لفيـت عـلى اهـل البلـد وافتكـرت ابـوكى خدتنـى رجـلى للبيـت بـس مادخلتـش حسـيت ريحـة ابـوكى مـش فى البيـت رجعـت تـانى ولما جيـت هنـا لقيـت عبـد الرحيـم بيقـولى خـش عـلى صبـاح عيـد عليهـا ويهز راسه ويقول
_مـش هلاقـى صاحـب زيـه ياما كان اهـل البلـد عايزيـن يوقعـوا بينـى و بينه
افتكـر قبـل انتخابـات العمديـة قالولـه ادخـل الانتخابـات قـدام خـيرى قالهـم مـا انـا وخـيرى ايـه وعـدي عـلى العيلـه واحـد واحـد علشـان ينجحـونى فى الانتخابـات
ويتبسم من شفتيه
_ مش هتلاقى اللى هيعمل كدا دلوقتي كان راجل
وانـا واخـوتى نسـتمع الى حديـث العمـدة خـيري فى تأمـل فى مـا حـدث فى المـاضى مـن جـدى دلوقتـى بـس عرفـت العمـدة بيعمـل معانـا كـدا ليـه ومـا عرفتـه بعـد ذلـك انـه كان يريـد يـزوج أمـى الى احـد ابنـاء ولكـن محـارب رفـض حتـي لا تربطـه علاقـة بالعمـدة بعـد وفـاة جـدى ويتقـدم الى العمديـة
وفى هـذا العـام مـن الدراسـة نجحـت انـا واخـى ونعمـل عنـد النـاس فى جمـع المحصـول وبعـد انتهـاء الاجـازة لم ننـسي ان هـذا العـام تدخـل اختـى سـعاد المدرسـة وكنـا نجلـس فى البيـت وقالـت سـعاد
_ انا هروح المدرسة زي شيماء يا اما

نظـرت اليهـا أمـى وتفكـر فى الامـر شـيماء هـى ابنـت احـد الجـيران وهـى مـن سـن سـعاد اختـى وعندمـا علمـت سـعاد بـأن شـيماء قدمت للمدرسـة فتحـت الموضـوع مـع أمـى امامنـا وبعـد تفكـير أمـى فى كلام سـعاد نظـرت الي

_ عماد روح لعمك عباس قوله أمى عايزاك

انظـر الى أمـى وهـى تتكلـم وبعـد ان انهـت الـكلام اقـف لاخـرج مـن البيـت فى اتجـاه الأرض واصـل الى عمـى عبـاس وهـو يجلـس تحـت الشـجرة يشـعل عـلى شـاى وقـد يبقـي وقـت عـلى الانتهـاء مـن عمـل الشـاى

_ عمى عباس

ينظر الي وهو يمسك البراد بعصاة خشب ويضعها على النار

_ خير يا عماد

_ كلم أمى

_ ماشى اقعد بس هنشرب الشاى وانا جاى معاك

اجلس جانب عمى عباس وهو يسوى الشاى وينظر الي

_ وانت عملت ايه فى المدرسة

_ الحمدلله نجحت

_ الـف مـبروك ايـوه كـدا ابـوك كان نفسـه يعلمـك انـت واخواتـك وربنـا يقـدر امـك وتحقـق الـلى ابـوك كان نفسـه فيـه

ينـزل الشـاى مـن عـلى النـار بعـد ان اسـتوي ويضـع شـاى فى كـوب صغـير ويعطينـى

_ اشرب علشان نروح نشوف امك عايزه ايه

أخـذت الكـوب منـه وشربـت وبعـد الانتهـاء مـن الشـاى لمينـا العـدة وذهبنـا الى البيـت نمـشى انـا وعمـى عبـاس نحـو البيـت كانـت أمـى

تفتح الباب فى انتظارى انا وعمى عباس
_ عماد
_ تعالا ياعمى عباس اتفضل
يدخل عمى عباس والباب مفتوح يجلس على حصيرةعلى الأرض امام أمى
_ خير يا أم عماد
_ انا عايزك فى موضوع
يستمع عباس الى أمى وانا اقف واسمع ماذا تقول أمى
_ تؤمرى
_ ربنا يخليك انا كنت عايز ابيع قيراط من الأرض
يفكرعباس فى الامر ويظهر عليه القلق
_ خير كفله الشر
أمى وهى حزينه من ما تقول وفى هم
_ انت شايف العيال بتكبر يوم عن يوم ومصاريف المدارس وكمان سعاد عايزه تروح المدرسة السنادى قولت ايه
يفكر عباس فى الامر وهو سرحان
_ يبقي محدش هيشترى الا الجيران علشان مافتكرش حد غريب هيشترى قيراط بس
_ شوف ويبقي رد عليا بس ياعمى عباس الكلام ده سر مش عايزه حد يأخد خبر بيه
_ عارف عارف يا بنتى
وهو يقف ليذهب الى الارض٠
_ انشاء الله هشوف وهرد عليكى على طول ربنا يقويكى يا بنتى
ويذهب عباس من البيت وتغلق أمى الباب وهى تفكر

فيما حدث

_ هو انتى هتبيعى الأرض يا اما

_ لا ده قيراط واحد ياعماد انت شايف الحال يا ابنى والمدارس على الابواب وكمان احنا مش فى أيام عيد علشان حد يبعتلى اخبز عنده

_ مابلاش سعاد تدخل المدرسة

_ اهو هنشوف ربنا هيمشيها ازاى

يمضى يومين من الحوار مع عباس ونجلس انا ومحمد فى الغرفة على السرير قبل اذان الظهر تنادى أمى عليا واخرج من الغرفة

_ تعالا معايا هنروح الأرض

_ ماشى

ادخل الغرفة اللبس الحذاء واخرج على أمى ونخرج من البيت وفى المقابل نساء تجلس على حافه الترعة تنظف موعين المونيا وحلل من البلاستيك احد الجالسين تُصبح على أمى اسمها (هدية) ترتدي جلابية الوان حمراء مقلمة بورد زرقاء وهي تجلس على حجارة على حافه الترعة وامامها المواعين

_ صباح الخير ياصباح

تنظر اليه أمى وتبتسم

_ يسعد صباح يا هدية عامله ايه

_ الحمدلله ايه ماحدش بيشوفك ليه

_ موجوده انت اللى مختفيه

_ يبقي تعالى اقعدى معايا شوية

_ عينى

ونذهب انا وأمى نحو الأرض ونصل نجد عمى عباس فى وسط

الأرض يمسك فأس ويروى الأرض تنادى عليها أمى واحنا خارج الأرض

_ عمى عباس عمى عباس

يلتفت الينا عباس ويخرج من الأرض ويترك الفأس امام الماء فى الأرض

_ صباح الخير يا أم عماد

_ يسعد صباح ياعم ايه مرتدش عليا ليه

_ النهارده هرد عليكى بس هخلص سقيت الأرض وهروح مشوار والرد هيكون عندك النهارده

_ ماشي ماتاخرش عليا ياعم عباس

_ النهارده ان شاء الله

نعود انا وأمى من الأرض الى البيت وبعد صلاة العصر ياتى عمى عباس الى البيت

_ ايوه ياعمى عباس عاملة ايه

_ والله يا بنتى انا لفيت على الجيران كلهم بس كل واحد بيتكلم انه يشترى الأرض كلها لا بلاش

تنظر أمى فى حزن الخبر وهى تفرك ايدها فى بعض

_ لا مايفنعش يا عمى عباس انت عارف الأرض دى سيبها المرحوم للعيال لما يكبروا

_ انا عارف يا بنتى بس ده اللى قالوه الجيران

_ ماشى ياعم عباس هفكر وهرد عليك

يمشى عباس من امام أمى وأمى تغلق الباب فى حيرة وانا اقف معها

_ هتعملى ايه دلوقتي هتبيعى الأرض كلها

_ مش عارف يا ابنى

يـدق البـاب افتـح اجـد سـعديه تاجـرة الخضـار وهـى تحمـل شـنطة سـمراء

_ فين امك ياعماد

_ يا اما كلمى خالتى سعديه

تدخل سعديه من الباب وأمى تقابلها بأبتسامة وتاخذها بالحضن

_ اهلا سعديه تعالى

_ اهلا بيكى يا اختى

وتجلس سعديه على الأرض مع أمى وتحكى أمى معها

وتنظر الى ما فى ايد سعديه

_ اكيد مش جيالى مخصوص

_ والنبـى مفيـش بـس (أم شـوقى) ربنـا يخليهـا بتجيـب لبـس المـدارس بالقسـط روحـت جبـت للعيال

تفكر أمى فى الكلام وتفتكر انها لديها ابناء يحتاجون الى ملابس

_ ايه ياصباح بتفكرى فى ايه

_ مفيـش انتـي عـارف بقـي العيـال ومشـاكلهم والمصاريـف بتتقـل عليـا يـوم عـن يـوم والمـدارس عـلى الابـواب

وتنتظر سعديه قليل وتفكر فى كلام أمى

_ متشـليش هـم هاخـدك معايـا تجيبـى الـلى انتـى عايـزاه منهـا وعـلى ضمانتى٠بكـره هعـدى عليـكى ونـروح انـا وانتـى ليهـا

تبتسم أمى وتحضن سعديه

_ ربنا يخليكى ليا

_ على ايه دا انتى زيى اختى

وفى اليـوم التـالى اتـت سـعديه الى أمـى واخذتنـا انـا وأمـى واخـواتى

لـكى نـأتى بلبـس المدرسـة مـن عنـد أم شـوقى ونذهـب نحـو بيـت أم شـوقى وعندمـا نصـل الى بيـت كبـير فى وسـط القريـة بيـت ملفـوف بصـور بالطـوب النـى ويوجـد عليـه رسـومات وكلـمات حـج مثـل الكعبـة باللـون الاسـمر و كلمـة حـج مـبروك وغيرهـا ندخـل مـن البوابـة لنجـد مـكان خـالى ليـس فى شـيئ مـن زراعـة اشـجار وغيرهـا يبـدو انهـا كانـت جنينـة فى المـاضى وبعـد خطـوات مـن البوابـة نصعـد سـلم مـن الحجـارة لنقـف امـام بـاب خشـب قديـم مـن درفتـين فى وسـطة حديـد وازاز تطـرق سـعديه عـلى البـاب وهـى تنـادى

_ أم شوقى ياحج

تفتـح امـراه فى سـن الخمسـين ترتـدى جلابيـة سـمراء ويظهـر عليهـا اثـر مشـوار بعيـد تبتسـم عندمـا ترانـا وهـى ترحـب بينـا

_ تعالا يامرحب

تدخل سعديه وهى ترد الترحيب وأمى خلف سعديه

_ الله يخليكى

وعندمـا تـري أم شـوقى أمـى تأخذهـا فى حضنهـا كأنمـا لم تراهـا منـذ زمـان

_ صباح عامله ايه وحشانى يابنتى

وبعـد مـا انتهـت مـن الترحيـب ندخـل انـا واخـوتى مـن امـام البـاب بيـت كبـير مـن الداخـل باللـون الاصفـر والنقشـات والرسـومات تكسـوه مـن الداخـل تأخذنـا أم شـوقى الى الداخـل نجلـس عـلى كنبـة وتجلـس امامنـا

_ عامله ايه ياصباح

_ الحمدلله ياحاج

سعديه تقطع الترحيب

_ احنا جايين انهارده علشان ناخد لبس المدارس للولاد
من عندك بس عايزكى تريحنا فى الاسعار وزيى ما انا واخده كل اسبوع القسط هيكون عندك
_ يا سلام غالى وطلبكم رخيص
تقف أم شوقى وتدخل الى الداخل تأتى بشنطة سمراء كبيرة وتفتح الشنطة على الأرض تظهر الملابس داخل الشنطة
_ شوفى اللى انتو عايزينوا وهخش اجيب الهدوم التانية
وتمسك سعديه احد القطع من الشنطة وأمى تمسك ايدها وباستغراب من ما قالت سعديه
_ انتى بتقولى القسط كل اسبوع ازاى ما انتى عارفه
تبتسم سعديه وهى تمسك قميص ابيض
_ ماتقلقيش انا عامله حسابى فى شغل ليكى
تستغراب أمى لم احد يخبرها بعمل من اهل البلد
_ شغل ايه ده ما انتى عارفه مين اللى هيخبز فى البلد كل يوم
_ خلاص بس نخلص هنا ونتكلم فى البيت
تأتى أم شوقى من الداخل ومعها شنطة سفر صغيرة وتلقى بيها على الأرض جانب الهدوم
_ودى كمان فيها لبس لسه جاى دلوقتي شوفو اللى عايزينوا وميهمكوش الفلوس
تبتسم أمى ابتسامة مصطنعة
_ ربنا يخليكى ويخلليك رجالتك
_ تعيشى
تنظر الينا سعديه وانا واخواتى نجلس على كنبة بعيده عن اللبس قليلا

_ انزلوا يا ولاد شوفه اللى هيجى على قدكم ايه وخدوه
ننظر الى أمى تبتسم وهى تنزل من على الكنبة الى الشنط وتمسك احد القطاع من اللبس
_ تعالا ياعماد تعالا يا محمد
ننزل انا واخوتى على اللبس وكأنما ينزل رجل كبير فى الصحراء لم يجد ماء منذ أيام وفى هذه اللحظة وجد كوب من الماء نمسك انا واخواتى الهدوم الجديده الذي لم نراها من يوم ما مات ابى وأمى مشغوله فى اللبس وتجلس أم شوقى على الكنبة امام سعديه
_ سيبى صباح والعيال يشوف اللبس وقولى يا حاجة
_ خير ياسعديه
_ انا امبارح وانا هنا شفت عندك درة كتير قوى اكوام اكوام ايه مودينهم فين
_ دى عندى من السنة اللى فاتت وجينا نبيعها محدش راضى ياخدها ما انتى عارفه بقي البلد مفيهاش حد معندوش ارض
_ طب واللى ياخدها منك كلها
_ اهى جاهزة للى يشيل بس فهمينى
_ بعدين دلوقتى هناخد الهدوم للعيال وهبقي ارجعلك تانى بعد يوم ولا اتنين
تستغرب أمى من الكلام وهى تقيس لبس لسعاد وبعد ان اخذا كل من اخواتى وانا الهدوم اللى عايزينها للمدرسة نقف من على الأرض وتمسك أمى الهدوم تعطى الى أم شوقى لتعرف ثمن كل حاجة وبعد الاتفاق على الثمن نخرج انا واخوتى ويظهر علينا الفرحة والابتسامة وكل واحد يحمل لبسه فى يده ونخرج من عند أم شوقى وعندما نصل الى بيتنا نفتح الباب وتجلس أمى مع

سعديه وانا واخواتى ندخل جوه فرحانين باللبس الجديد ونسمع أمى وهى تكلم سعديه بعد ان استراحه من المشوار

_ ايه بقي الشغل اللى انتي شوفتيه ليا

_ طب نشرب شاى علشان نعرف نتكلم

تنادى أمى عليا وهى تجلس جانب سعديه

_ ياعماد تعالا هات عدة الشاى من جوه

اخرج من الداخل وادخل المطبخ أتى بالعدة والاسطوفيا الذى تشتعل بالجاز واضعهم امام أمى واجلس لكى اسمع ما نوع العمل اللى جايباه سعديه الى أمى وأمى وهى تشعل الاسطوفيا

_ ايه بقي نوع الشغلانه دى

تنظر سعديه الى الفرن

_ هو الفرن دا شغال ولا خربان

_ لا شغال دا انا الى عملاه بأيدى

_ تمام شوفى بقي ياختى انتى عارفه انى انا بقعد فى سوق المركز بالخضار كل اسبوع صح

_ صح وايه الجديد

_ استنى بس انتى امبارح لما كلمتينى على العيال والضيق اللى انتى فيه فكرتلك فى شغلانه انتى بتعرفى تعمليها واحسن واحده فى البلد انتى فيها

_ يكونش بتفكرى

تقطع سعديه أمى

_ ايوه اللى انتى بتفكرى فيه

_ عايزانى اخبز عيش واديكى تبعيه فى المركز

_ مش كدا بالظبط

_ امال ايه

_ انتى هتخبزى عيش وانتى الى هتيجى معايا المركز تبعيه اهو أول سوق لقينا الحال حلو نكمل مش حلو نشوف حاجة تانى

تفكر أمى فى الكلام وتسرح

_ وانا كلمتلك أم شوقى على الدرة وهتفق معاها بس لما انتى تفكري ايه رايك

_ بس انتى

سعديه تقطع أمى تانى مره

_ مش بس ولا حاجة احنا هنشوف الشغلانة عامله ايه

وبعدين المركز فيه بهوات وناس متعرفش تخبز ولا تعرف حاجة وانتى عليكى تجيبى الدرة وتحمصيها وتشيها وبعد

ما تتخبز هتيجى تقعدى فى سوق المركز جانب الناس الى بتبيع العيش ورزقى ورزقك على الله

_ سبينى افكر فى الموضوع

تنزل أمى الشاى بعد ان استوي وتعطى سعديه وسعديه تكمل الكلام

_ احنا هناخد الدرة من الناس بالاردب ونشوف المكسب قد ايه وربنا يكرم

تنظر أمى فى سرحان وهى تسمع سعديه وبعد ان غادرت سعديه البيت جلست أمى تفكر فى الموضوع ولا تتكلم مع احد

وفى اليوم التالى خرجت من غرفتى ادخل الحمام وعندما فتحت الباب اجد أمى ترتدى جلابية قديمة وتسد فتاحات الفرن بالطين وتمسك قطعه من الطين وتمسح الفرن من الخارج وعندما اقتربت منها نظرت الي وهى تمسك الطين

_ انـت صحيـت يـا حبيبـى خـش اغسـل وشـك وتعـالا اكـون خلصـت وحضرتلكـم الفطـار

_ انتى بتعملى ايه

_ مفيـش بـس بسـد الفتاحـات بتـاع الفـرن علشـان ربنـا يكـرم فى الشـغلانه الـلى جايبهـا سـعديه لينـا

يومها عرفـت ان أمـى لم تنـام مـن التفكـير حتـي اخـذت القـرار وبعـد الفطـار خرجـت أمـى بعـد ان جـاءت اليهـا سـعديه وتـأتى أمـى بشـوال مليـئ ذرة تحملـه عـلى راسـها وخلفهـا سـعديه تحمـل شـوال ثـانى يدخـلان البيـت وينـزلان الـذرة مـن عـلى راسـهم ويظهـر عليهـم تعـب المشـوار يجلسـان عـلى الأرض تطلـب سـعديه كـوب مـاء منـى

_ هات نشرب ياعماد

اذهـب لاملـئ كـوب المـاء مـن الزيـر واعـود اعطيهـا الكـوب ترفـع سـعديه الكـوب ولا تنزلهـا الا فارغـة واملـئ الثانيـة الى أمـى واعطيهـا اليهـا

وبعـد وقـت صعـدت أمـى الي اعـلي المنـزل وتحمـل بـوص وجريـد قديـم لتشـعل بـه الفـرن تخـرج أمـى الـذرة مـن الشـوال وتُدسـها فى الفـرن وهـى سـليمة لـكى تحمصهـا وبعـد ذلـك اغلقـت الفـرن عـلى الـذرة بجلبـاب قديمـة

****

وفى اليـوم الثـانى اخرجـت أمـى الـذرة مـن الفـرن فى طشـت كبـير نحـاس لـكى نفـرط الـذرة ونـأتى عليهـا انـا واخـواتى لنجلـس عـلى الطشـت ونفرد معهـا وبعـد وقـت ننهـى تفريـط الـذرة مـن الكيـزان ونجمـع الـذرة عـلى بعـض ونجمعهـا فى شـوال لـكى تحملهـا أمـى الى المطحـن لتعـود قبـل الليـل وهـى تحمـل الدقيـق عـلى راسـها وتدخـل البيـت تجدنـا انـا

واخوتى فى انتظارها تنزل الدقيق من على راسها وبعدما استراحة قليلة على الأرض تنهض تحضر لتعجن للخبيز حتي تذهب مع سعديه الى المركز فاليوم التالى تحضر بوص ثانى من فوق البيت وتنزل من على السلم وهى تحمله تضعه امام الفرن وتدخل لتأتى بالكبريت من الداخل لتشعل الفرن وانا واخواتى نجلس حولها وبعد وقت من خبيز أمى وحدها ينام محمد وسعاد على الأرض بجوار أمى تقوم أمى من امام الفرن لتدخل اخواتى وانا اجلس معها حتي تنتهى من الخبيز وكنت كل ما تخرج العيش من الفرن أخذه منها واضعة على جلباب داخل الطشت الالمونيا وبعد ان انتهينا نهضت أمى من امام الفرن وربطت جلباب على العيش كى نذهب بها الى المركز عندما تمر علينا سعديه فى الصباح وندخل انا وأمى لنستريح قليل قبل طلوع النهار

_ تعالا ياعماد ننام ساعتين لحد ماخالتك سعديه تعدى علينا

وبعد صلاة الفجر بقليل اجد أمى تدخل عليا لتيقظنى من النوم

_ يا عماد قوم يا حبيبى

افتح عينى قليل وانهض اجلس على السرير وانا لم اشبع من النوم بعد

_ قوم يا حبيبى اغسل وشك بشوية ميه عقبال ما اروح لجارتنا علشان تخلى بالها من اخواتك

_ ماشى

تخرج أمى من الغرفة وانا انزل من على السرير لم اري امامى اتحسس على الدولاب وعلى الحائط حتي اصل الحمام ادخل الحمام اقضي حجاتى واخرج وانا لم افيق حتي بعد غسيل وجهي بالماء تدخل أمى من باب البيت وانظر الى السماء لم اجد ضوء

النهـار

_ خـش هـات حاجـة تقيلـة عـلى جسـمك ويـالا علشـان خالتك سـعديه زمانهـا جاية

ولم تكمـل أمـى الكلمـة ونجـد سـعديه عـلى البـاب تحمـل فـوق راسـها بداريـة مصنوعـة مـن خـوص النخيـل وتغطيهـا بجلابيـة

_ صباح

_ تعالى يا سعديه

_ يالا علشان نلحق يا حبيبتى

تدخـل سـعديه مـن بـاب البيـت وانـا ارتـدي بروفـال قديـم مـن الـدولاب واخـرج اجـد أمـى تحمـل الطشـت وفيـه العيـش الـذرة وانـا اسـاعد سـعديه فى حمـل البدريـة التـى انزلتهـا حتـي تسـاعد أمـى فحمـل الطشـت الكبـير وأمـى وهـى تخـرج مـن البـاب

_ يارب ارزقنى برزقهم يارب اقفل الباب ياعماد

تخـرج أمـى وانـا اخـرج بعدهـا واغلـق البـاب ونذهـب نحـو الطريـق المـؤدى الى المركـز يقابلنـا مـن مسـتيقظ مـن اهـل القريـة فى الصبـاح وهـو ذاهـب الى الأرض عـلى الحـمار ومنهـم مـن يركـب عربيـة كـرو نقـف عـلى المزلقـان فى انتظـار ان يمـر القطـار وجـرز انـذار القطـر يـدق يمـر القطـر مـن امامنـا ونعـدى المزلقـان ونقـف عـلى الطريـق لنركـب الى المركـز ننتظـر قليـل حتـي اتـت عربيـة ربـع نقـل تحمـل نسـاء بائعـين جائلـين يأتـون مـن مـصر الى سـوق المركـز تقـف العربيـة ونركـب احنـا وسـعديه

السوق فى المركز

السوق فى المركز تصل العربية الى أول المركز فى أول ضوء النهار والسوق ليس فيه الا من يحضر الفرشة للبيع وتقف وننزل نحن ثم خالتى سعديه تحمل أمى الطشت وسعديه البدارية وانا خلفهم انظر يمين ويسار وما اسمعه من الكلام من البائعين

_ نهارك ابيض نهارك زى العسل

_ عمى محمد عامل ايه نهارك قشطة

وانا امشى وراء أمى وسعديه حتي وصلنا الى محطة القطار ومرينا منها وفى احد الاركان انزلت سعديه ما على راسها ونزلت من على أمى العيش على الأرض

_ انتى هتقعدى هنا وفى ناس تانى هتيجى تقعد جنبك هو ده المكان اللى بيبعوا فيه العيش

تسمع أمى الكلام وتفهم وهى تهز راسها

_ انا هروح المكان اللى بقعد فيه وهبقي اجيلك من وقت للتانى

_ ماشى ربنا معاكى

تساعد أمى سعديه فى رفع الخضار المتواجد فى البدارية من على الأرض

_ سلام

_ سلام

ونجلس انا وأمى بعد ان كشفت الجلابية من علي العيش وتجلس فى كسوف لاول مره أمى وانا فى هذا الموقف لم نعرف احد ولا

احد يعرفنا وكانت أمى تفكر وعندما تلاحظ احد ينظر الى العيش تبتسم فى وجهه وكانت تطلب من الناس ان يأتيان لشراء العيش منا بالابتسامة وتعيد التفكير وبعد وقت قليل يأتى رجل كبير فى السن يظهر عليه العز يمسك العيش

_ بكام البتاوه

تظهر على أمى الفرح

_ ببلاش يا بيه

يبتسم الرجل الكبير

_ انتى باين عليكى بنت حلال انا لو عجبنى العيش بتاعك هشترى منك كل سوق

وانظر انا بعيد والرجل وأمى يتكلمان وانا اري نساء تحمل عيش ذرة يأتيان نحو أمى

تأتى أول واحده تري أمى تجلس فى المكان التى تجلس فيه تبتسم وهى تحمل العيش وهى تأتى نحونا وبعدما اخذت أمى الفلوس من الراجل الكبير ومشى من امام أمى أمى تجد النساء تقف امامها وهى تحمل العيش تقول واحده منهم

_ ايه دا فى واحده غريبة هنا يا أم عبير

تقول أمى بخوف وابتسامة مصطنعة

_ ما غريب الا الشيطان

وتنهض أمى وتنزل العيش من على راس النساء

_ فعلا ماغريب الا الشيطان بس انا أول مره اشوفك هنا

تجلس واحده على يمين أمى وواحده على الشمال

وتبتسم النساء فى وش أمى وتقول أمى

_ ايوه انا أول مره انزل السوق

تتعرف على أمى النساء الاولي أم عبير ست فى الاربعين من العمر ترتدي جلابية سمراء ويظهر عليها التعب من المشوار والثانية أم سماح فى نفس عمر أم عبير ولكن اختلاف فى الشكل والسكن أم سماح من المنيل وام عبير من اللشت يظهر على النساء انهم ولاد بلد

ولكن ما اتي بينا الى السوق اتي بيهم فقر الحال

_ انا مش من بعيد انا من الدناوية يعنى من المركز

_ انا أم سماح من المنيل

_ وانا أم عبير من اللشت يعنى من المركز زيك بالظبط

تمد النساء ايدها لتسلم على أمى وبعد ان رحبت بأمى تجلس أم عبير على يمين أمى وام سماح على الشمال وأمى فى الوسط وتقول أم سماح

_ احنا بنقول انك غريبة عشان احنا مشفناكيش هنا قبل كدا بس معروفه ان دا مكاني انا وام عبير من سنين بس انتى باين عليكى بنت ناس والى جابك السوق هو الى جابنا

أمى تقف من على الأرض وتمسك الطشت

_ لا انا مش جايه من بيتى علشان اقطع عيش حد انا هنقل من هنا

تقف أم عبير وام سماح وتبعد ايد أمى من على الطشت وتقول أم عبير

_ والله ما انتى منقوله من هنا

وتقول أم سماح

_ والله العظيم ماحد قاعد هنا غيرك

وتجلس أمى بعد ان رأت انهم مش زعلانين

وتقول أم سماح

_ انتى لو روحتى اى مكان تانى رزقك هيجى وراكى بس السوق كله عارف ان دا مكان العيش الفلاحي وبعدين دا انا الى امشى دا انا الغريبة

وأمى ترد الكلام الجميل من المرءة الذى لم تعرفها الا منذ قليل

_ لا ماتقوليش كدا انتى لو مشلتكيش الأرض نشيلك على دماغنا

_ تُشكرى بس المكان ده مش بتاعى دا بتاع أم عبير وهى زيك كدا عمرها مازعلت حد منها

تنظر أمى الى أم عبير وتشكرها

_ شكرا يا أم عبير

_يا اختى كفايه شكر هو الى بيطلعنا من البيت ايه غير لقمة العيش يعنى هو انتى عايزه تيجى من الفجر علشان تهزرى معانا ولا تقبلينا كله بياكل عيش فى المكان ده ولا فى غيره متشليش هم حاجة مدام فى وسطينا وهتدفعى ارضية زينا

_ ربنا يخليكم

و أمى تبتسم ابتسامه فرح انها وجدت مكان وسط نساء البلد الجدعان وانا جلست خلف أمى وكانت عندما يأتى احد ليشترى عيش تعطينى أمى الفلوس وأخذه واضعه فى كيس بلاستيك وبعد ساعات من النهار انهت أمى بيع العيش كله ويبقي مع أم سماح وام عبير قليل من العيش تستأذن أمى وتأخذنى نشترى اشياء للبيت وبعد ان اتينا بكل ما نحتاجه ذهبنا الى سعديه وقد انتهت من بيع الخضار نظرت الى أمى وهى تحمل الطشت تفرح وتبتسم وهى تحمدالله

_ ايه ده ماشاء الله خلصتى العيش كله

أمى وهى تنازل الطشت من على راسها وتجلس جانب سعديه

_ الحمدلله البركة فيكى

_ البركة فى ربنا الاول ايه قوللى جبرت معاكى

_ الا جبرت دى جبرت وجبرت

_ يعنى هنكمل ان شاء الله

تنتظر أمى قليل وترد

_ ربنا يسهل ومفيش حاجة توقفنا

ونعود انا وأمى الى البيت بعد صلاة العصر وأمى تجلس بعد ان دخلت البيت تستريح من تعب النهار ويأتى اخواتى من بيت أم محمد جارتنا يدخلان على أمى وكانت جايبة لكل واحد فينا عقد من الحلاوة الالوان تمسك أمى العقد وتعطيه الى محمد وسعاد ومحمد ياكله

وادخل انا على السرير انام بعد يوم طويل اجلس فى الشمس جانب أمى

****

محضر الى خالى

كان خالى فى الصباح يجلس مع انعام على الفطار وعبد الرحيم ابنه معاه وسميرة تجهز الشاى ويدق الباب لتفتح سميرة لتجد محضر يقف امام الباب فى يده ورق كتير لناس عليها محاضر

_ سلام عليكم

_ وعليكم السلام ورحمة الله

وهو ينظر فى الورق اللى متواجد فى يده

_ مش دا بيت محارب عبد الرحيم

_ ايوه خير

_ خليه يجى يستلم ورقة محضر

يظهر القلق على وجهه سميرة وتدخل على محارب وهو يفطر مع زوجته وابنه

_ ابو عبده

ينظر اليها محارب وانعام

_ ايه يا سميرة من على الباب

_ دا واحد بيقول عايزك تستلم ورقة

محارب وهو يقف من على السفرة

_ ورقة ايه دى

_ يخرج محارب ويقف امام الرجل

_ سلام عليكم

_ وعليكم السلام يابيه

_ ايه ورقة ايه دى يا استاذ

_ دا محضر لجلسة فى المحكمة امضى هنا وانت تعرف بتاعت ايه
يمضى محارب بأستلام الورقة ويعطى الرجل الورقة ويذهب من امام محارب بعد ان القي السلام ينظر محارب فى الورقة وهو يغلق الباب وعندما يعرف ما فى الورقة ينفعل وهو يذهب الى السفرة
_ والله عال مبقاش الا كدا كمان
_ خير يا محارب فى ايه
_ صباح رافعة قضية عليا علشان الورث
وفى استغراب يجلس فى وجه انعام
_ انا أول مره اشوف اخت تعمل فى اخوها كدا
_ اهو اديكى شوفتى دى اتجننت رسمى
_ ما انا قولتلك اكتب كل حاجة بأسم عبد الرحيم انتى اللى مسمعتش كلامى
_ مالوش لزوم الكلام ده دلوقتي
_ طب وهتعمل ايه
ينظر محارب الى الورقة ويقول وهو يفكر
_ لا دى مش دماغ صباح انا عارف صباح كويس
دى دماغ العمدة خيرى ماشى يا عمدة
وبعد ان انتهي محارب من الفطار لبس الجلابية وعليها العباية وخرج نحو بيت العمدة وعندما وصل عند البيت وجد العمدة يتحدث فى التليفون وبعد ان نده بصوت عالى
_ ياعمى خيرى يا عمدة
يرد العمدة وهو يجلس ولا يعرف من المنادى
_ اتفضل ياللى بتنادى

يدخل محارب الى العمدة ويقف قدام العمدة ومعه الورقة وعندما يري العمدة تتغيرملامحه ويظرعليه الغضب وبعد ان انهى العمدة التليفون ومحارب وقف

_ اتفضل اقعد يا محارب

ومحارب وهو يجلس

_ ايه الورقة دى على الصبح ياعمدة

ينظر العمدة الى الورقة وهى مع محارب

_ ورقة ايه يامحارب اللى مخليك هالل عليا على الصبح

_ جلسة فى المحكمة علشان الورث

يبتسم العمدة وهو يأخد نفس عميق

_ يااااه هى لسه وصله

_ يعنى انت عارف

_ عارف ايه دا انا اللى عملها وربنا يخلى الولاد هما الى بيعملوا اللى انا عايزه

_ ياعمدة انا جايلك وبقولك الكلام ده غلط يحصل ما بينا

_ الغلط انت عملته من زمان

_ انا عارف انك مابتحبنيش من زمان

_ بص يا محارب خلى اللى فى قلبى من ناحيتك واسكت دلوقتي وبعدين انت قولت اعمل اللى تعرف تعمله واهو هو ده بقي اللى بنعرف نعمله

_ متفتكرش كدا اناهخاف لا دا محامى بتلاته تعريفه هيخرجنى منها زيى الشعره

_ خلاص روح للمحامى واديله الورق وخليه يخرجك منها

يغضب محارب من كلام العمدة ويظهرعلى العمدة انه فى الدقيقه

الاخيرة من عمر المباراة بينه وبين محارب وهو يظهر على وجه الفرح ومحارب وهو منفعل

_ انا جايلك علشان تحلها

_ حلها فى ايدك انت ادى صباح حقها فى ورث ابوها وانا هخلى ابنى يتنازل عن القضية وان كان على ايجار الأرض طول المدة اللى انت واخدها من بعد موت ابوك انا هخليها تسيبه

يظهر على محارب الغضب ويذهب من امام العمدة والعمدة يبتسم ابتسامة خفيفه وقبل نزول محارب من على سلم البيت يقول العمدة بصوت عالى

_ اللى يسأل عليا يا ولاد انا رايح عند صباح ابشرها دلوقتي

يقول العمدة ذلك حتي ليذهب محارب الى صباح وهو غضبان

يعود محارب الى البيت ويخلع العبايه ويرميها علي الأرض ويجلس على الكنبة فى الصالة تأتى اليه انعام وهو يظهر عليه الغضب تجلس انعام امامه

_ ايه طلع هو

_ ايوه ومش هيتنازل الا لما ادى صباح حقها

_ وانت هتعمل ايه

ينظر اليها ويفكر و فاجأة

_ ايه ده

_ ايه

_ هو مش شكرى ابن عمك محامى كبير فى المركز

تفكر انعام فى الكلمة

_ ايوه ليه

_ ليه ايه ماهو دا الى هيفهمنا ايه الحكاية قومى يالا نتصل بيه

_ قوم
يقوم محارب مع انعام من مكانهم الى التليفون
******
فى نفس اليوم يأتى العمدة الى بيتنا ليخبرنا بما حدث
_ عامله ايه صباح
_ الحمدلله ياعم
_ انا جايبلك خبر حلو
_ خير
_ اتحدد جلسه لمحارب اخوكى علشان الورث
تستقبل أمى الخبر بحزن شديد ويغلبها الدمع
_ ايه انتى زعلتى ولا ايه
_ اكيد ياعم هو مش اخويا بردو
يبتسم خيرى ويقول
_ كنت هزعل منك لو فرحتى انما انتى بنت ابوكى صحيح
_ بس اعمل ايه انا فى حيرة يا عم
_ شوفى يا صباح احنا مش عايزين الا حقنا لو هيرده خلاص نتنازل عن المحضر ولو مش هيدى نكمل وناخذ حقك من حباب عينه
_ بس
يقطع العمدة أمى فى الكلام
_ مفيش بس ولا حاجة محارب غلطان ولازم يعرف ان البلد مش سيبه وان فى حكومة تقدر تجيب حق الضعيف من القوى
_ ماشى ياعم ربنا يقدم اللى فى الخير
_ قوليلى بقه ايه اخبارك واخبارالعيال
_ الحمدلله سعديه شافتلى شغلانة اكل منها عيش انا والعيال

_ شغلانة ايه دى

_ بخبز عيش واروح المركز ابيعه

يغمض العمدة عينه من تعب الشغلانة

_ هـو موضـوع تعـب بـس مـش هيطـول ان شـاء اللـه واشـتغلى وربى عيالـك مـدام شـغلانة بـشرف وان عـوزتى اى حاجـة انـا موجـود

_ تشكر ياعم

ويذهـب العمـدة مـن بيتنـا وهـو يظهرعـلى وجـه الحـزن الشـديد لعمـل أمـى

وتأتى سعديه بعد ان خرج العمدة

_ صباح

_ تعالى ياسعديه

تدخل سعديه وتجلس جانب أمى ويظهر على أمى الحزن

_ خير فى ايه باين عليكى حد مزعلك

تحكى أمى الى سعديه ما دار بينها وبين العمدة وتقول سعديه

_ وانتى هتعملى ايه بس ما هو اللى واكل حقك

_ مش عارفه

_ المهم بعد بكرة السوق مش عايزين نروح اسبوع ونقعد اسبوع

_ لا ماتخفيش ان شاء الله هكون موجوده

وتذهـب سـعديه مـن البيـت وتـأتى أمـى بالـذرة وتشـعل الفـرن لتجهـز للخبيز

****

يجلس محارب على الكنبة وتأتى انعام اليه وهو يفكر

_ ايه مالك

وتجلس بجانبه وهو يمسك كوباية الشاى

_ مفيش بس بفكر هنعمل ايه فى المحضر ده
_ مش شكرى قالك تعالالى المكتب بعد بكرة وهو هيشوف الدنيا
_ ماشى بس انا بفكر القح اى حاجة لصباح وتحل عنى
بأستغراب وعنف
_ ايه على جثتى دا مالك ومال ابنك من بعدك تديه ليه
_ انا بقول
تقطعه انعام
_ لا بلاش تقول خلينا نشوف شكرى هيعمل ايه
وينظر محارب الى انعام وهو فى حيرة
****
ونذهب انا وأمى الى الأرض لنأتى بالبوص الذى نشعل بيه الفرن وفى الأرض نجد عباس يمسك بالفأس ويعمل فى الأرض وكان عباس قد اخذ الأرض شرك بينا وبينه هو عليه الشغل والزرع ويأخذ نصف المحصول بعد وفاة ابى وعندما نقترب منه
_ سلام عليكو يا عمى عباس
يقف وينظر الينا
_ وعليم السلام ورحمة الله وبركاته
ويأتى عمى عباس ليقف امامنا
_ يامرحب تعالى يا أم عماد
_ لا مش وقته انا جاى اجيب شويه بوص للفرن
_ طب تعالى اقعدى وانا هجيبلك اللى انتى عايزه
وبعد الحاح عمى عباس جلست انا أمى وحكيت اليه بمشروع الخبيز وقال
_ اهو ناوية بتسند الزير وانا ان شاء الله اى ما اشوف بوص

هجيبه لحد البيت
وبعد ما انتهينا من الحديث مع عمى عباس تحمل أمى حزمة بوص على راسها وانا احمل قطع من الخشب على كتفى ونذهب الى البيت
ويوم السبت بالليل تجلس أمى امام الفرن لتحضر العيش الى سوق الاحد بالمركز وانا اقف معها وهى تخبز وبعد الانتهاء من الخبيز نستريح ساعات حتي نذهب الى السوق فى الصباح تأتى خالتى سعديه يوم الاحد بعد الفجر لنذهب معها الى السوق ونركب مع بعض وفى هذا اليوم حدث شيئا لن انساه اتينا الى السوق انا وأمى وخالتى سعديه وجلسنا فى مكانا انا وأمى وذهبت سعديه الى المكان المخصص اليها وبعد فتره من وجود الناس فى السوق ونحن نجلس جانب السكة الحديد على يمين الطريق وانا جلست جانب أمى رأيت خالى محارب مع انعام وهو لم يرانا ولم يستهل الامر ان اقول الى أمى فكانت مشغولة فى بيع العيش ويأتى رجل غريب يأخذ ارضية السوق ويأخذ من أمى نصف جنية فهى ارضية تدفع لمن يملك السوق من البائعين المتواجدين وأمى تبيع العيش وتعطى الي الفلوس لاضعها فى الشنطة فغلبنى النوم جانب أمى فأعطيت أمى الكيس ونمت خلف أمى ما يقرب من ساعة واستيقظت من اصوات الناس وجلست جانب أمى وتأتى لحظة لن انساها يمر محارب هو وانعام من امامنا وانعام لم ترانا فكانت مشغولة بمن حولها ولكن ما رانا خالى محارب وتغيرت ملامح وجهه حتي وقف للحظات حتي نظرت أمى تأتى عينها فى عين محارب يحمر وجه محارب ويتغير وجه أمى تسبقها انعام بخطوات تقف وتنادى عليه

_ محارب محارب

ينظر محارب اليها ويمشى نحو انعام ظلت أمى طوال اليوم وهى حزينة بما راها محارب فكانت من ياتى من الناس ليشترى العيش وأمى لم تسمعه واقف انا واخذ الفلوس تلاحظ أم عبير تعب أمى

_ ايه مالك يا صباح

_ مفيش تعبت شوية

_ طب ماتيجى نروح المستشفى

_ لا مفيش داعى

وننتهي من البيع فهذا اليوم ونمر على سعديه ونذهب الى البيت وعندما نأتى الى البيت نفتح الباب نجد خالى محارب فى البيت فى انتظارنا وهو غاضب جدا وعندما تراه أمى

_ يا مرحب

_ انتى كنتى فين ياصباح

_ ما انت عارف انا كنت فين وشوفتنى وانا ببيع عيش علشان اعرف اعيش انا وولاد اختك اللى انت واكل ورثهم

يقف وهو منفعل وبصوت عالى

_ اسمعى انا اخر مره اشوفك فالمكان ده

_ لا وانت الصادق دى أول مرة ومش هتكون اخر مرة لحد ماعيالى يكبروا او تدينى ورث ابويا اللى انت واكله

وهو يذهب نحو الباب ويهوش بالعكاز المتواجد فى يده وبصوت عالى

_ اسمعى انا اخر كلام انا قولته اذا طلعتى بره البلد هكسر رجلك انتى فاهمه

ويخرج محارب من الباب ويغلقه خلفه

تجلس أمى على الأرض وهى تبكى وانا اقف امام أمى وقد كان قلبى يقف على ما وصل بيه حالنا
وبعد صمت دام نصف ساعة وأمى تبكى اخرج أتى بأخوتى
وعند عودتى تدخل أمى تغسل وشها وتخرج من البيت نحو بيت العمدة وكانت أول مرة تخرج دون احد مننا معها
وبعد نصف ساعة تأتى أمى عليها غضب وانفعال وتجلس على الأرض فى انتظار رد العمدة

*****

العمدة خيرى يصل عند خالى محارب وكان محارب يجلس مع انعام فى الصالة وهو سرحان من بعد ما اتى من الخارج تلاحظ انعام انه سرحان
_ ايه فى ايه من ساعة ما جينا من المركز وانت سرحان وجيت طلعت بره ولسه جاى فى ايه فهمنى
_ مفيش جاحة
_ ازاى انت كنت ماشى حلو معايا فى السوق وفجأه وقفت واتغيرت ملامحك
يدق الباب العمدة وهو يظهر عليه غضب تفتح سميرة الباب تجد العمدة
_ ازيك يا سميرة
_ الحمد لله يا عمدة
_ محارب موجود
_ ايوه موجود
_ قوليله العمدة عايزك
تدخل سميرة الى الصالة تخبر محارب بوجود العمدة يخرج عليه

امـام البـاب ومـن عـلى البـاب
_ خير ياعمدة
_ مش خير
_ انا عارف انه مش خير
_ تمـام انـك عـارف انـا عمـرى مـا اتكلمـت مـع حـد عـلى بـاب البيـت بـس انـت بالـذات انـا مـش هخـش عنـدك
وبلهجة تهديد
_ اسـمع بقـي انـا منسـاش يـوم ماكنـت عايـز اخـد صبـاح لعيـل مـن عيـالى علشـان اقـرب مـن ابـوك اكـتر وانـت الـلى رفضـت وانـا عـارف انـت رفضـت ليـه علشـان كنـت عايـز تخـلى ابـوك ياخـد العمديـة ولـو نسـبنا العمـدة مـش هنقـدر نقـدم قدامـه علشـان اختـى فى البيـت
يقطع محارب فى غضب
_ مالوش لزوم الكلام ده دلوقتي
_ لا ليـه عنـدى ولازم تعـرف ان انـا فاهمـك مـن زمـان اوى وسـاكت ومرديتـش اتكلـم لماجـوزت اختـك لابراهيـم وحيـد ابـوه ومـش مـن البلـد اصـل قولـت بـلاش ازعـل صاحبـى منـى وانـا عـارف انـك انـت الـلى اعترضـت عـلى الجـواز وعـارف كـمان انـت مـش عايزتـدى لاختـك حقهـا ليـه علشـان المركـز يقـول العمـدة خـيرى مـش عـارف يمـشى البلـد بـس اسـمع انـا عنـدى اسـتعداد ارجـع لصبـاح حقهـا مـن دلوقتي بـس هـى بنـت اصيلـه بنـت ابوهـا وانـت عـارف كـده مـن دلوقتـي اقلـب عليـك ويبقـي انـت وابنـك قـدام عيلـين مـن عيـالى بـس انـا صابر عليـك ويـوم مـا صبـاح تشـتغل فى شـغلانه علشـان تعـرف تعيـش هـى وعيالهـا تيجـى تقـف قدمهـا واللـه ماحـد هيقـف قدامـك الا انـا يقطـع محـارب العمـدة وهـو منفعـل

_ انت ناسى انها اختى والا ايه
_ لا مش ناسى بس اختك جاتلى وبقت فى حمايتى يعنى لما انت تكسر رجليها يبقي عبد الرحيم ابنك هيتربي يتيم ومين عارف ممكن كمان يجيله جوز أم يعيش فى الخير اللى انت فيه دا اخر كلام عندى الحمدلله عندى بدل العيل خمسة ومفيش عندى مشكلة يموتوا علشان حماية واحده زي صباح ومن دلوقتى الخيط اللى بينى وبينك انا قطعته ومن غير سلام عليكم
يمشى العمدة من امام محارب ويظهر على محارب غضب من الكلام يدخل ويغلق الباب جامد وانعام تقابله
_ ايه فى ايه صوت العمدة جايب اخر البيت
يذهب محارب نحو الصالة يفكر فى كلام العمدة ولم يسمع انعام وهى بتساله وتعيد انعام مره ثانية
_ مالك يامحارب فى ايه العمدة قالك ايه مخليك تايه كده
يجلس محارب على الكنبة
_ مفيش مفيش
_ ازاى مفيش دا باين عليه كان غضبان من حاجة وعمال يزعق والعمدية وايه اللى جاب عبد الرحيم فى الموضوع
_ العمدة شايلى من يوم ما جه يتقدم لصباح لواحد من عياله وانا مارضيتش
_ لا مش هو ده الموضوع انا حاسة دا فى الورث بتاع صباح
وتنظر انعام بعيد تجد سميرة قريبه منهم
_ ايه يا سميرة راميه ودنك معانا زي كل مره
سميرة فى خجل
_ بتقولى ايه يا أم عبده

_ لا مابقولش بس شوفى اى حاجة فى المطبخ مش لازم تنظفى الصالة دلوقتى

_ حاضر

تدخل سميرة المطبخ

***

تجلس أمى فى وسط البيت فى انتظار العمدة يعود اليها بالرد بعد ما يأتى من عند خالى ونجلس انا واخوتى فى صبر حتي تحضر امي الينا الغداء او العشاء فالمغرب اقتربت ان تؤذن

يدق العمدة الباب اقوم افتح الباب يدخل العمدة وأمى من التعب لم تقف اليه جلس العمدة امام أمى وهو يظهر عليه تعب المشوار والخناق مع محارب

_ خليكى قاعده انا هاجى اقعد جانبك

_ ايه اللى حصل

العمدة فى غضب

_ من االنهارده محارب مالوش دعوه بيكى وان فكر يمسك او يمس عيالك انا الى هقفله انا عرفته بكده وهخلى ابنى احمد يستعجل فى القضية علشان تاخدى ورثك وتربى العيال

_ ولحد القضية ما تحكم اشتغلى ورحى السوق وتعالى براحتك والى هيفكر يمسك هو ولا غيره يمين تلاته لا اخلى الدبان الازرق ميعرفلوش طريق جره

تؤذن المغرب الله اكبر الله اكبر والعمدة يقول

_ الله واعظم والعزة والجلالة لله

ويظهر على أمى الحزن والتعب

_ متزعليش يا صباح ما انتي عارفه دا رباية العيال مش بالساهل

انا عايز اقوم اصلى المغرب بس مش عايز اسيبك زعلانة
وبصوت مذبوح وفى حزن تقول أمى
_ لا روح انت ياعم وكتر خيرك
_ انتى عارفه ان البلد كلها بتتكلم عليكى دلوقتي
تفاجأت أمى بالكلمة ويأكد العمدة
_ ايوه ما انتى لما تعرفى ان مرات علوان عايزه تطلق منه بعد الحادثة
أمى وهى فى ذهول
_ ايه
_ ايوه يا بنتى ما هى جاتلى وقالت انا عايزه اطلق
ولما عرفت ان احنا رافعين قضية تعويض على الشركة سكتت لما تشوف هنعمل ايه شوفتى بقي الناس بتتكلم عن ايه كل واحد يقول امال صباح تعمل ايه الى جوزها مات واخوها واكلها فى الورث وماسكه فى عيالها وبترب فيهم
تظهر على أمى ابتسامة خفيفة وسط الحزن
_ ايوه كدا انا هفضل جانبك لحد ما اموت
_ ربنا يخليك ياعم بعد الشر
_ الناس حطينك فى مقارنه مع مرات علوان وانتى الى كسبتى والمكسب الاكبر لما تشوفى عيالك رجاله ويردوا ليكى الجميل
نستمع الى العمدة انا واخوتى وأمى تضمنا حولها
_ اشتغلى عليهم مش عيب ان الواحدة تشتغل على عيالها انما العيب ان تطلعهم فاشله وخايبين وانا عارف ان عندك عزة نفس زى عبد الرحيم الله يرحمة ماكنش ياخد جنية الا لما يكون اشتغل بيه او فكر ده جاى منين

ربنا يعينك على تربيتهم
اقوم انا بقي وزى ماقولتلك اى حاجة انا موجود
_ربنا يخليك يا عم
ينهض العمدة من امام أمى ويفتح الباب الذى كان مفتوح للنصف ويخرج من البيت وأمى تفرح بما سمعت قول الناس عليها وبتحمد الله
_ الحمدلله يارب

****

أول يوم فى المدرسة

اليـوم هـو أول يـوم فى المدرسـة انـا فى اولي اعـدادى ومحمـد يدخـل الصـف الرابـع وسـعاد أول سـنة ليهـا فى المدرسـة

يـوم السـبت وفى تمـام السـاعة السادسـة ونصـف تدخـل أمـى علينـا الغرفـة انـا ومحمـد عـماد محمـد قومـوا يـاولاد وتسـحب الغطـاء مـن علينـا

نستيقظ انا ومحمد بعين واحده

_ قوموا اغسلوا وشكم عقبال ما البس سعاد

نجلس انا ومحمد على السرير واحنا نفتح عين ونغلق الثانية

_ محمد

_ ايه

_ ما تقوم

_ هو انا نايم دا انت اللى نايم

_ أول يوم فى المدرسة بيبقي تعب

_ هو احنا لسه روحنا

تنادى أمى علينا

_ يالا علشان تلحقو مكان قدام

محمد وهو يظهر عليه النعس

_ دا اللى قاعد قدام السنة اللى فاتت جاب ملاحق فى العربى

_ اعوذ بالله على الصبح ملاحق

تدخل أمى علينا تجدنا على السرير

_ ياحبايبى اتجدعنوا

ننهـض انـا ومحمـد مـن عـلى السريـر عـلى الحـمام فى دقيقـه نغسـل

وشنا ونخرج نرتدي لبس المدرسة الجديد ونقف احنا التلاته امام أمى وهى اعطت كل واحد اكله

_ خالى بالك من اخواتك يا عماد هتروح تقعد اختك وبعدين تروح انت على مدرستك

وانا اسمع ما توصينى أمى على اخواتى ونأخذ سعاد ونمشى من البيت وتفتح أمى الباب وتخرج ورائنا فى الشارع وتقف على أول الطريق ويظهر كل رجل يسحب ابنه على المدرسة

فى أول يوم من الدراسة

وادخل المدرسة فى أول يوم وانا معى اختى سعاد وبعد طابور المدرسة دخل الطلاب الى الفصل وانا امسك سعاد وادخلها الفصل أول المدرسة يمين ويقابلنى الاستاذ صابر وهو يبتسم

_ ايه اللى جابك هنا مش ارتحنا منك خلاص

وانا اسلم عليه وابتسم

_ ازاى بقي انا مشيت واخويا فالمدرسة واختى عندك فى الفصل

_ شاطره زيك ولا لا

_ البركة فيك انت اللى مربينا على الشطاره

_ طيب يالمض امشى انت علشان متأخرش على المدرسه

واخرج من المدرسة الابتدائية واذهب نحو الكوبرى ويقف طلاب الاعدادية فى انتظار اى عربية تقف تذهب نحو المدرسة وانا لم اقف معهم بل مشيت انا وثلاث طلاب فالمدرسة فى بلد جانب بلدنا فمن الطلاب من يمشى ومنهم من يركب فانا لم احب الركوب حتي لا احرج من السائق ووصلنا المدرسة أول يوم هى مدرسة فى(قرية السبيل) او تعرف (بمنشية كاسب) وهى أول قرية يدخلها الكهرباء فى المنطقة بعد ان زارتها سوزان مبارك من قبل وامرت

بأدخال النور الى هذه القرية وهى الذى تفصل مركز العياط والبدرشين اخر بلد فى مركز البدرشين هذه القرية مدرسة جديدة مكونة من خمسة ادوار نقف فى الطابور أول يوم فى الدراسة وبعد طابور الصباح وقف احد المدرسين وهو مدير المدرسة ليرحب بينا اى الطلاب الجدد على المدرسة

_ السلام عليكم ورحمة الله وبركاتة وبالامس ودعنا طلاب جلسوا معنا ثلاث سنوات واليوم نستقبل طلاب جدد وارجو من الله ان يُعنا ويُعين الطلاب الجدد يتفوقو فى الدراسة حتي يتحقق ما يتمني وندخل الفصل اجلس فى المقعد الثانى من الامام واحساس أول يوم فى المدرسة الجديدة لم يتغير عن أول يوم فى ابتدائى لم يتغير ولكن الاختلاف ان بالامس كان معى ابى واليوم لم يكن معى وما لم يغيب علي ذهني هو انني اتيت الى المدرسة اليوم وغدا ساغيب ولا انسي يوما ان يوم الاحد هو يوم السوق فى المركز ولكن ما اتي بى اليوم هو حجز مكان وان اتعرف على المدرسين

انتهي اليوم الدراسى وعدت الى البيت واجد أمى تحضر الدقيق من المطحن وتحمل على راسها وتدخل من باب البيت وانا خلفها

_ حمدلله على السلامة

_ الله يسلمك

وادخل اغير ملابسى واخرج من الغرفة وأمى تحضر الغداء وكان غدائنا عبارة عن جبنه فى الطبق و مخلل وعيش ذرة وكوباية الماء هذا ما تجده على الطبلية كل يوم

اجلس انا واخوتى على الطبلية وكل واحد يطلب من أمى كراريس للمدرسين وتبدء سعاد بالكلام

_ امه انا عايزه تلات كراسات الاستاذ قال هاتوهم بكرة

محمد كان ناسى بس افتكر لما سعاد اتكلمت

_ بحق وانا عايز خمسة كراريس وكشكول

وأمى وهى تأكل

_ شوف ياعماد اللى اخوتك عايزينه علشان نجيبه بكرة من المركز

وفى اليوم التالى تجلس أمى فى السوق جانب أم عبير وام سماح وتنظر أم سماح الى أمى وتقول

_ انما يا صباح انتى مش بتقعدي فى مكان غير سوق المركز

_ اهو اللى اعرفه

_ ليه هو انتى شغاله حاجة تانى غير العيش

_ لا بس عندى حتة ارض ومدياها لواحد شرك واهى بتمشى

_ طب ماتيجى معايا الجيزة هناك ناس ايه بهوات

تفكر أمى فى العرض

_ لا انا منزلتش هناك الا علشان جوزى الله يرحمه والمعاش

_ بس اسمعى كلامى فى لقمة عيش حلوه

وبعد الحاح أم سماح على أمى وأمى ترفض وننتهي من بيع العيش ونمشي فى السوق وندخل مكتبة كبيرة لكى أتى بالكراريس الى محمد وسعاد ونعود الى البيت وكان يوم الاحد هو يوم عيد بالنسبة الينا فامى تبيع وتأتى بالفلوس وبجميع ما نحتاج من السوق

وفى بيت خالى يجلس هو وانعام ويدخل عليهم عبد الرحيم وهو يعود من المدرسة وتقول انعام

_ حمدلله على السلامة

ويجلس عبد الرحيم على الكرسى ويسأل محارب

_ ايه اخبار المدرسة الجديدة

_ هو احنا لسه خدنا حاجة

ومحارب وهو يهزر معه

_ ايـوه افضـل قـول كـده لحـد الامتحانـات وهـب الشـهادة تطلـع بملاحـق

انعام ترد على محارب وهى تحضن عبد الرحيم

_ ماتحبطش الواد يامحارب من أول يومين كدا

_ لا وانتى الصادقه دا من الشهادات اللى عدت

تنظر الى محارب فى غضب وتأخذ عبد الرحيم الى فوق

_ تعالا ياحبيبى اتغدا علشان انت راجع تعبان

وتترك محارب يجلس لواحده فى الصالة

******

وفى احـد الايـام بعـد دخـول المدرسـة بشـهر ضـاق الحـال فى المـال وعمل أمـى يـوم فى الاسـبوع لا يكفـى الى اكل وتعليـم ثـلاث أولاد ويـوم مـن الايـام بعـد مـا خبـزت أمـى وجهـزت العيـش تعبـت ولم تقـدر تذهـب الى السـوق وجلسـت عـلى الأرض تمسـك دماغهـا مـن التعـب تمـر علينـا سـعديه فتجـد أمـى عـلى الأرض وانـا بجانبهـا

_ صباح

افتح الباب لسعديه وهى تحمل الخضار

_ خير قاعده كده ليه

أمى وهى تعبانه وتمسك راسها

_ قمت من قدام الفرن تعبت

_ يعنى ايه مش هتقدرى تروحى

_ مش قادره اقوم

تقف سعديه وتفكر قليل وتخرج تقف امام الباب

_ تنظر يمين ويسار تجد شاب يركب حمار يأتى من بعيد يحمل الفأس امامه وتكلمه كانها تعرفه منذ زمن بعيد

_ خد البدارية دى قدامك لحد المزلقان

_ ماشى

تُنزل سعديه الخضار امام الشاب على الحمار وتدخل علينا

_ شوفى خشى انتى ارتاحى وانا وعماد هنروح السوق

ولم تعترض أمى على هذا العرض فالمال الذى يأتى من السوق لم يكفى فكيف نجلس يوم من دون ان نبيع العيش فى السوق

_قومى ساعدينى بس وارفعى عليا وانا وعماد هنبيع العيش وربنا يسهل

تنهض أمى من على الأرض وانا وهى نرفع العيش على راس سعديه ونخرج من باب البيت الى الطريق

وفى الطريق سعديه تنصحنى بطريقه البيع

_ اسمع يا عماد انت هتعقد جنب العيش هعرفك تبيع ازاى وهسيبك وهروح ابيع الخضار هقف هنا شوية وهنا شوية ونصل على المزلقان لنجد الشاب انزل الخضارعلى جانب الطريق وعند وصلنا تقف سيارة نقل شيفروليه حمراء تحمل نساء تقترب سعديه لتنزل العيش من على راسها فى السيارة ويستلم النساء منها العيش ونعود نحمل الخضار ونضعه فى العربية ونجلس فى العربية المحملة بالنساء وعندما نصل الى السوق تحمل سعديه سريعا الخضار لتنزله جانب احد البياعين فى السوق امرأه كبيره تجلس وامامها صينيه فيها طماطم وعلى يمينها كوسه

_ والنبى يا خاله خلى البدرية دى جانبك لحد ما اوصل ابن اختى وارجع اخودها

_ ماشى خليها عندك هنا

وتعود سعديه وتحمل العيش من العربية ونذهب الى مكانا الذى نجلس فيه وعندما ترانا أم عبير وام سماح تتعجب من سعديه ويسالون على أمى بأستغراب أم عبير

_ امال فين صباح

وتقوم أم سماح لتنزل من على سعديه العيش وبعد ان انزلت سعديه العيش وتأخذ نفسها

_ مفيش تعبت شوية وبعتت ابنها مكانها

أم عبير وهى تقتح غطاء العيش الخاص بينا حتي يري الناس

_ لا الف سلامة

وسعديه ترد

_ الله يسلمك اقعد هنا بقي ياعماد

وترد أم سماح وهى تجلس على الكرسى

_ روحى انتى لفرشتك ومالكيش دعوة بيه احنا معاه

_ ربنا يخليكم

وتذهب سعديه وانا اجلس مكان أمى فى السوق وانا مُحرج وما رايت من أم عبير وام سماح فى هذا اليوم لم اتخيله وكان من يأتى على العيش ليأخذ منهم يعطوه نصف كيلو من عيشى او كيلو ولكن ما رأنى فى السوق ولم اتوقع انهم يهربون من المدرسة ويأتيان الى المركز احد الطلاب ومنهم عبد الرحيم ابن خالى وكنت اجلس ولم اعرف انهم فى السوق وعدي عليا وابتسم ابتسامة فرح لماانا فيه وكانت نظرة عيناه كأنها سكين تُقطع فى قلبى ويشاور عليا ليعرف الطلاب اننى اغيب من المدرسة لكي ابيع العيش وحزنت حزن الصغار الذى لم يريد ان يكون احد احسن منه

وانتهينا من بيع العيش انا وام سماح وام عبير ولكن كان الاهم عندهم هو ان ابيع العيش وارجع على أمى دون شيء الا المال وعدت عليا سعديه وانا معى الطشت والجلابية وكيس الفلوس واخذت سعديه منى كيس الفلوس دسته فى جيب جلابيتها ولم تمد يدها لتعرف بكام بعت ولمين كل ما عرفته من أم سماح اننى خلصت ومفيش حد اخذ حاجة منه الا الارضية وابتسمت سعديه فى وش أم عبير وام سماح وقالت

_شكرا اهو محدش عارف كلنا بنمر بالظروف دى

تقول أم سماح

_ والله لو هعرف اجيلها انهارده لكنت جيت شوفتها

_ فيكى الخير يا اختى

وتقول أم عبير

_ ولو ما عرفتش تيجى الاسبوع اللى جاى ميهمهاش من حاجة خليها تخبز العيش وتبعته

_ ربنا يخليكى عارف والله تشكري

ونذهب انا وسعديه على الموقف وتقول سعديه

_ هى امك عايز حاجة من هنا

_ مش عارف

_ يعنى ماقلتلكش هات حاجة

_ لا

_ خلاص مش مهم يبقي هيا تجلبكم من البلد

ونركب ونذهب نحو البلد

****

يدخل عبد الرحيم البيت بعد ان فتحت سميرة الباب ويدخل

يجد انعام امه تجلس فى الصالة امام تيلفزيون كبير خشب الوان وتسمع فيلم رصيف نمرة خمسة ويدخل عليها عبدالرحيم ويقول وهو يحمل الكتب ويجلس جانب امه

_ انا شوفت النهارده حاجة هتعجبك اوى

تنظر اليه انعام وهى تبتسم

_ شوفت ايه يا حبيبى فرحنى

ويحكى اليها ما رأه فى السوق من عماد وهو يجلس يبيع العيش وتتعجب انعام من الحوار ويدخل محارب من الباب وعندما يري عبد الرحيم ابوه يصعد الى فوق ويدخل محارب على انعام وهى تنظر اليه

_ سلام عليكم

_ وعليكم السلام ورحمة الله

ويجلس جانب انعام وتقول

_ انت عارف اختك صباح بتشتغل ايه

يتغير وجه محارب من الحوار

_ وانتي ايش عرفك ان صباح شغالة

_ لا انت تعرف كويس من يوم ما كانا فى المركز وشوفت الى عبد الرحيم شافه النهارده واقول ماله دا كان ماشى كويس شاف ايه فى المركز يخليه متعكر كده

_ وايه يعنى لما واحده بتأكل عيالها عايزانى اعمل ايه

_ تمنع الفضيحة دى يعنى العيال فى المدرسة يعيروا عبده ابنك ويقولولله يالى عمتك بتبيع العيش

ينظر اليها فى غضب ويحول الحوار

_ انما انتى مش شايفه غير موضوع صباح وفى موضوع تانى انتى

هنـا علشـانه

_ ايه هو الموضوع التانى

_ ازاى ابنـك ياخـد منـك فلـوس وميروحـش المدرسـة ويلـف فى سـوق المركـز

تفكر شوية وتقول بصوت خفيف

_ ايوة صحيح ايه اللى ودا الواد المركز

_ خـالى بالـك مـن ابنـك واعـرفى كويـس انـا سـايب الـواد ليـكى يقـوم ماينفعـش فى التعليـم محـدش عـارف ايـه الـلى ممكـن يحصـل ويقف ويصعد الى فوق وهو غضبان ؟

ندخل على أمى وهى ترقد على السرير من التعب وسعديه معى

_ ايه انتى لسه تعبانة

أمى وهى على السرير ومتغطيه بلحاف قديم

_ الحمدلله احسن من الصبح

تمد سعديه يدها نحو دماغ أمى لتعرف الحرارة

_ جسمك حلو دافى

_ عملتوا ايه النهارده

_ الحمدلله بيعنا العيش كله

وتخـرج سـعديه كيـس الفلـوس مـن جيـب الجلابيـة وتعطـى لامـى الكيـس وتضعـه جانبهـا

_ انا هلحق اروح اطبخ للعيال وهبقي اعدى عليكى بالليل

_ ماشى

_ يالا سلام

تخرج سعديه من باب البيت وانا ادخل انام من التعب

وبعـد شـفاء أمـى تجلـس مـع سـعديه تقـترح عليهـا مشـوار مـصر الـذى

عرضت عليها أم سماح وأمى تجلس تعمل شاى لسعديه
_ بقول ايه يا سعديه
وسعديه تنصت اليها
_ كانت فى واحدة من اللى بقعد جنبيهم فى السوق عرضت عليا اروح مصر بالعيش ايه رايك
_ والنبى يا اختى معرفش بس بيقولوا اسواق مصر كبيرة
_ انتى شايفه العيال بتكبر يوم عن يوم والمصاريف بتزيد عليا
_ نشوف الموضع ولو هيكسب حلو نمشى فيه
_ خلاص انا هافتحها فى الموضع ده الاسبوع اللى جاى
وتنهى أمى الحوار على انها تكلم أم سماح فى مكان فى مصر
وكنت اعود من المدرسة لامسك كتبى واذاكر لى ولاخوتى كل يوم ويدق الباب عمى عباس يأتى يحمل بوص على حمار
_ ياعماد
اخرج عليه فأجد عمى عباس يحمل شوال كبير فى بوص مكسر قطع صغيرة ويحملوا على الحمار وهو يقف
_ ايوه ياعم عباس
_ تعالى امسك الحمار علشان مايمشيش
وامسك الحمار الى عمى عباس وهو يحمل الشوال الكبير ويركن جانب الباب وياتى ويركب على الحمار ويقول
_ قول لامك دول شويه بوص وخليها تفضى الشوال وانا رايح اجيب تانى
_ ماشى
ويمشى عمى عباس وهو يركب على الحمار وتنزل أمى من فوق
_ ايه ياعماد

_ عمى عباس جايب الشوال ده وبيقول هروح اجيب تانى بس نفضى دا علشان يرجع ياخده

_ خلاص خش انت وانا هفضيه

ودخلت انا لاذاكر مع اخوتى فى الغرفة وتركت أمى تفرغ الشوال من البوص ويوم السبت فى المدرسة كان احد المدرسين اعطانى واجب للحفظ وسيسمعوه غدا فخرجت من الفصل واتكلمت مع المدرس اننى بغيب يوم الاحد علشان ظروفى فقال لى تسميعك يوم الاثنين فكان الجميع يعذرنى فى حالى ويقدر ما افعل مع أمى وبالفعل ذهبت مع أمى الى السوق وانا احمل الكتاب الذى فيه الدرس لكى احفظ فى السوق فاعندما اعود اكون تعبانا وعندما اذهب بكون قايم من النوم فى احسن حال هو ان أخذ الكتاب معايا وعندما وصلنا اخذو أمى بالحضن والترحيب بعد غياب اسبوع من المرض وشكرتهم أمى لما فعلوه معى وبعد قليل من البيع فاتحت أمى أم سماح فى بيع العيش فى مصر ولم تعترض المراه الجدعة بنت البلد وظهرت بالفرحه و بالابتسامات

_ تنورى مصر واسواق مصر

_ ربنا يخليكى

_ انا من بكرة هحجز مكان ليكى جنبيا

فرحت أمى بما سمعت واتفقت على ان تبدء فى التجهيزات خلال اسبوع وتذكرت وانا جالس جانب أمى ان من الممكن ان يأتى احد من الطلبة مثل ما حدث فى الاسبوع الماضى وتركت أمى وجلست بعيد عنها وفتحت كتابى وقرأت فيه وهى ترانى وبعد مرور وقت قليل انتهيت من الدرس واغلقت الكتاب وكانت أمى تنتظرنى اعود واجلس جانبها ولم اعد وجلست مكانى فى انتظار أمى تنهى البيع

ومـن وقـت الى الثـانى انظـر الى أمـى اجدهـا تبيـع وفى وقـت لم اعـرف انهـا تنظـر الي واتـت عينـى فى عينهـا وهـى تهـزس راسـها قليـل وتبتسـم فعرفـت أمـى انى مكسـوف ان اجلـس جانبهـا واحسـت بى ولكـن كان خـوفى ان يـرانى احـد مـن زمـلائي جانـب أمـى فى السـوق وانتهـت أمـى وعدنـا الى البيـت ولم اعلـم ان أمـى لم تنـسي الموقـف اننـى لم احـب الجلـوس معهـا فى السـوق وانتهينـا وذهبـت فى اليـوم الثـانى الى المدرسـة ولم يشـغلنى شـيئا وكانـت أمـى فى خـلال الاسـبوع تحـضر لـكى تخبـز لـكى تسـافر الى سـوق مصريـوم والى سـوق المركـز يـوم واتفقـت مـع سـعديه عـلى ان تسـاعدها فى العمـل الجديـد وفى يـوم سـوق الاحـد وقـد اعتـدت ان اغيـب فى هـذا اليـوم وبعـد مـا انتهينـا مـن الخبيـز يـوم السـبت ونمنـا وفى الفجـر دخلـت أمـى وكنـت أول مـره اسـتيقظ دون احـد يتكلـم عندمـا فتحـت أمـى بـاب الغرفـة قومـت مـن عـلى السريـر وقالـت

_ انا صاحى

وكانت المفاجأة اننى لم اذهب مع أمى اليوم بل تأخذ محمد

_ لا يـا حبيبـى خليـك انـت النهـارده ارتـاح وودى اختـك المدرسـة وانـا هاخـد محمـد

وهى تُصحى محمد وتقول

_ محمد قوم يا حبيبى علشان تروح معايا

_ ليه محمد انا واخد اذن من المدرسة

_ لا انت تعبت معايا امبارح خليك انت جانب اختك

وقـام محمـد وهـو يقـدم خطـوة ويأخـر خطـوة عـلى الحـمام ويدخـل محمـد وترتـدى أمـى لبـس ثقيـل وتقـف فى انتظـار سـعديه وانـا اجلـس عـلى السريـر حزيـن لمـا فعلـت أمـى ولم تأخـذنى معهـا واتـت سـعديه

وخرجت أمى معاه الى السوق وقبل ان تخرج أمى تقول وهى ترد الباب خلفها

_ تعالا ياعماد اقفل ورانا

واخرج اغلق الباب واعود الى السرير اجلس عليه واسحب اللحاف عليا وافكر فى كلام أمى الي وعلمت ان أمى لم تنسي انى أُحرج من الجلوس جانبها فى السوق ولذلك اخذت محمد حتي لا تحرجنى فكانت هى الذى قالت لا تأتى معى قبل ان اقول انا وفى هذا اليوم لم يأتى الى نوم بعد ان خرجت أمى وافكر فى ما حدث وافتكرت اننى ليس لى احد بعد الله الا أمى فكيف بعد ان اخذ الله منى ابى ان أُحزن أمى وهل الناس ستأتى الينا بطعام او لبس عندما تجلس أمى فى البيت

وأمى الذى تعمل من اجلنا ومن الممكن انها كانت تتزوج بعد ابى وترتاح من العمل فالبيوت واللف فى الاسواق والبيع وغيره ان الله يعطى للانسان جوهرتين هم (الاب والام) فأخذ منى جوهرة الاب فكيف احزن الجوهرة الثانية او اجرحها لارضاء الناس فكررت ان لا اذهب الى المدرسة اليوم وان استمر فى الغياب وعندما استيقظت سعاد اخذتها الى المدرسة وعدت الى الحقل لكى اجمع خشب وبوص الى أمى ومن هذا اليوم (أمى فوق كل الناس) ليس للنظر من يشبع او يحقد عليه فأن كان مات ابى فانا واخواتى ظهر أمى فى هذه الدنيا ولم اخشى احد من الناس

وخرجت من المدرسة عودت الى البيت لاغير ملابسي وأخذ حبل واذهب الى مكان يسمى النخل فى البلد مكان كبير فيه ما يقرب من الف نخلة ودخلت النخل وابحث عن جريد وليف وجمال من نفيات النخل الناشف الذى يصلح الى الفرن واجمعت كوم

كبير من الجريد والجمال ولكن لم ينفع الحبل ان يربط هذا هو يحتاج الى شوال كبير وبحثت عن شوال فى المكان فوجدت رجل يجلس تحت شجرة ويشرب الشيشة اتيت اليه يجلس لواحده بجلابية قديمة ويربط حبل على وسطه حتي لا يتعب من التمييل فى الأرض

_ سلام عليكم يا عم

رد السلام بعد ان اخرج لى الشيشه من فمه وبأسنان سمراء وهو ينفخ الدخان من فمه

_ وعليكم السلام ورحمة الله

_ معندكش شوال هنا ياعم هحمل عليه جمال وليف وهرجعهولك تا نى

-نظر الي وهو يبتسم ابتسامة خفيفة ويسحب نفس من الشيشة

_ وانت ابن مين يا حبيبى

وعندما عرفته بأسمى احترمنى احترام لم اجده من احد واجلسنى جانبه وحضر لى شاى وبعد ما شربت الشاى معه

_ انت عندك الشوال

_ ماتخفش انا هحملك الجريد والجمال على الحمارة ويبقي رجعه تانى وكل ماتيجى هنا تعالى خد الحمارة شيل عليها ويبقي رجعه انا هوريك مكان البهايم ولوانا مش موجود خدها وخلى حد يحملك

فأحسست فى هذا اليوم ان اهل البلد ينظرون الينا بأحترام لما تفعل أمى الينا فهذا الرجل لم اعرفه ولم يعرفنى ولكن عندما اخبرته بأنى ابن ابراهيم فقال الله يرحم ابوك ويقوى امك عليكم وتكمل فى ربايتكم

ومن يعرفنا من البلد دون أب فعلمت ان اسم أمى ينضرب بيه المثل فى الوقوف جانب ابنائها وحملت الحمل على الحمار وذهبت الى البيت وعملت على ان ادخله امام الفرن وبعد اذان العصر اتت أمى من السوق هى ومحمد فتجد بوص وجمال داخل البيت اتفاجئت

_ ايه ده مين اللى جايب البوص ده

وانا اقف وجانبى اختى سعاد

_ انا قولت كدا كدا قاعد روح النخل وهات بوص

تبتسم أمى ومن هذا اليوم لم اخلف أمى مهما حصل فمن الغريب يحترم أمى وكيف انا اخفي الجوهرة الباقيه معى وعاهدت الله طوال حياتى ان اجعل أمى راسها مرفوعة فى البلد بابناءها فكانت دائما تقول

_انا برتاح لما تنجح انت واخوتك وتجيب درجات عليا ساعتها بس بحس انى تعبى مراحش

ويوم الاثنين تحضر أمى للذهاب الى مصر غدا وانا ساكون معها أول يوم وجاءت سعديه تحمل الدقيق من المطحن وأمى تحمى الفرن حتي يبدءان فى خبيز غدا وجهزت أمى كل شيئا واستعدت على الرحيل الى مصر غدا وكانت مرتبه مع أم سماح على العربية الذى تذهب من العياط الى مصر كل يوم بعد صلاة الفجر وكلمت سواق العربية على ان يقف ينتظر أمى امام البلد وأتيت انا من المدرسة على الساعة الثلاثة عصر فأجد أمى وسعديا احضرة كل شئ ودخلت الى البيت غيرت ملابسى وخرجت اقف معهم وكانت سعديه تحذر أمى من مصر والمشوار بعيد

_ ونامى بدرى علشان تلحقى العربية

_ ماتخفيش ربنا هيسهل

و ترتدي سعديه الجلابية السمراء على الجلابية الذى كانت تخبز فيها وتخرج من البيت وانا اساعد أمى فى تنظيف البيت وبعد ان اكلنا دخلت الغرفة وامسكت كتاب وبداءت فى المذاكرة وانتهي هذا اليوم فى التحضير للذهاب أول يوم الى مصر

دخلت أمى علينا فى الغرفة قبل اذان الفجر لتيقظنى من النوم وبصوت منخفض وهى تضع يدها على كتفى

_ عماد قوم ياحبيبى علشان نلحق العربية افتح عين واحدة واهز راسى وبصوت خفيف

_ ماشى

تخرج أمى من الغرفة وانا انزل من على السرير اتحسس على الأرض ابحث عن الشبشب البلاستيك فلم اجده انزل براسى تحت السرير وأتى بيه من تحت السرير والبسه واخرج لاغسل وجهى بالماء داخل الحمام وخرجت من الحمام وعلى وجهى اثر الماء فأدخل الغرفة ارتدي بروفل من الساقعة الذى تتنفس فى أول ضوء النهاره وأمى فى انتظارى فى الخارج وخرجت وأمى تمسك شاش وتضعه على راسها واساعد أمى فى حمل الطشت المحمل بالعيش ونخرج من البيت وقرءان الفجر يبدء ونغلق الباب خلفنا ونذهب فى الظلام ويبقي على اذان الفجر قليل ولا احد من القرية مستيقظ الا رجال كبار المتعودين على صلاة الفجر وكل ما يقابلنا احد ونلقى عليه السلام

_ سلام عليكم

_وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

وعندما ينظر فيعرفنا فيقول

_ ربنا يعينكم ويقويكم
وكانت أمى تشكرهم
_ تشكر ياحج
ونصل الى المزلقان ونقف فى انتظار العربية
_ ما تنزلى لحد العربية متيجى
_ خمسة بس لو مجتش ننزل
_ هو متفق معاكم على الساعة كام
_ بيقول بعد صلاة الفجر بيطلع من العياط
_ طب دا لسه الفجر مأذن نزلى وتعالى نقعد لحد مايجى
واساعد أمى فى تنزيل الطشت من على راسها ونجلس جانبه قرابة ربع ساعة وتأتى عربية نيسان صفراء تقف ومحملة ثلاث رجال واربعة نسوان تقف امامنا تنظر أمى الى السوق
_ عمى حسن
_ أم عماد
نحمل انا وأمى العيش على العربية ويقف رجل شاب يمسك معى انا وأمى ويوسع مكان للعيش ونصعد انا وأمى الى العربية ويقول احد الشباب الى السواق بعد ماركبنا
_ اطلع ياعمى حسن خلاص
وعندما جلست أمى القت السلام على من فى العربية
_ سلام عليكم
فرد من كان صاحى فمنهم من غلبه النوم حتى يصل الى مكان عمله
_ وعليكم السلام
واجلس فى حرف العربية واضم ايدى على بعض من الساقعة وليس

انا ما احس بالسعقة فقط كل من فى العربية ينكمش حول نفسه ويسود الصمت فى العربية وانظر الى الطريق والى الاسفلت الطريق ليس به اى عربيات الا عربيتنا حتى أول ضوء فى النهار فوجدت اناس تقف فى انتظار سيارات عملهم وكل من يحمل كيس به ملابس عمله ومن يحمل شنطة ويذهب الى الجامعة ومن يقف على عربية فول وقرب المنيب يبدء عمى حسن السواق يقف فى اماكن معينة وينزل رجال من عربيتنا فهو يعرف من ينزل هنا ومن يعمل هناك واحنا لم نعرف الى اى مكان نجلس فقالت أمى قرب المنيب الى احد النساء التى تجلس جانب باب عمى حسن

_ والنبى يا حاجة قولى للسواق متنساش الست بتاعة العيش

وقفت المرأه الكبيرة ومالت على باب عمى حسن واخبرتة وعادت

_ ماتخفيش بيقول انتى هتنزلى فى الجيزة يعنى الاخر

_ شكرا يامه

تطمأن أمى من السائق حتي لا ينسانا

ونصل الى الجيزة تحت الكوبرى ولم يبقي فى العربية من الركاب الا انا وأمى وست كبيرة بحلة الجبنة والسمن ويقف عمى حسن السواق على جانب الطريق وينزل من العربية ويأتى الينا فى الخلف رجل فى سنة الخمسين قصير القامة اصلع يكسو وجه شنب ابيض يرتدي جلابية فلاحى وفى يده اليمني ساعة كسيو يابانى فضة ومفاتيح العربية

_ يالا يا أم عماد ؟

تقف أمى وتستعد ونظرت الى المرأة فهى نائمه يظهر عليها التعب فيقو ل

_ أم هنية

تستيقظ المرأة الكبيرة وتقف

_ ايه وصلنا

_ ايوه يا امه وصلنا

تمسك أمى الطشت واساعدها فيه تنزيله وتأتى أم سماح وتقف تحت جانب عمى حسن وتقول

_ حمدلله على السلامة

تبتسم أمى

_ الله يسلمك

أم سماح تعطى حسن الاجرة فينظر اليها وهى تحمل الطشت وانا وأمى فوق العربية

_ انما هى مش هترجع معايا

_ لا دى ممكن تبات معايا النهاردة

يبدو من الحوار ان حسن لا يأخذ اجرة من البائعين الا وهم راجعين حتى يكونوا باعوا ما معهم تقول أمى وهى تنزل من العربية بعد ان حملت حلة الجبنة على راس أم هنية

_ كتر خيرك مينفعش ابات

تقول أم سماح وهى تحمل العيش على راسها

_ ماشى بس يالى علشان الفرشة لوحدها

ونمشى من امام العربية مسافة قصيرة فى هذه المسافة رأيت بائعين اكثر منمن يشترى فعربيات الخضار والفاكهة ونمر على محلات ملابس وقهوة ويقوم الجميع بنصب فراشة البيع ومن بعيد نجد عمود عيش ولم يقف جانبه احد وعندما وصلنا بجواره

_ نزلى هنا

_ ماشى

أمى نزلت من على رأس أم سماح وجلسنا جانب أم سماح فى شارع رئيسى تحت كوبرى الجيزة ليس بمفردنا فى السوق يبيع العيش ولكن نجد بين كل مسافة مجمعات من الخضار والفاكهة والملابس وغيره وبائع عصير القصب يمر وهو يحمل صانية وعليها كوبيات عصير قصب والقهوجى يحمل الشاى

يلف فى السوق على البائعين ونجلس على فرشتنا الجديده وكانت أمى تقول وهى تجلس

_ يارب سهل وسدد ما علينا

وكانت تقصد ما عليها من فلوس الذرة التى تأخذها من الناس على بيع العيش وانظر من بعيد اجد أم هنية تحمل الحلة وتلف يظهر عليها لم تجد مكان تجلس فيه فشاورت لامى عليها

_ الست اللى كانت راكبة معانا اهي

نظرت أمى عليها وقالت لام سماح

_ بقول في مشكله الست دى تيجى جانبينا هنا

_ ايه المشكلة انتى تعرفيها

_ كانت راكبة معايا وباين عليها الزمن جار عليها زينا

_ روحى جبيها

_ روح يا عماد انده ليها

اقوم من جانب أمى واذهب اليها اجدها تقف تقول لاحد البنات

_ اقعد جانبك يا بنتى

ترفض البنت جلوس أم هنية

_ لا يا حبتى دا مكان محجوز

وأتى اليها وامسك جلبيتها

_ تعالى أمى حجزالك مكان

تمشى ورايه وتقابلها أمى وتحمل الحلة من عليها

_ هاتى يا خالة

تعطى أمى الحلة وهى تدعى لها

_ خدى يا بنتى ربنا يخليهوملك

وتنزل أمى الحلة وسط أمى وام سماح

_ تعالى اقعدى هنا

وتجلس أم هنية جانب أمى وتسلم عليها أم سماح

_ ازيك يا خالة

_ الله يسلمك يا بنتى

وتسألها أم سماح

_ انما انتى مالكيش مكان تقعدى فيه

وهى يظهر عليها الحزن على مكانها وأمى تستمع اليها وتقول

_ انا باجى هنا من زمان وبقعد قدام محلات الهدوم اللى فى الاول بس جيت اقعد النهاردة صاحب المحل مشانى وجايب واحد قريبه بيبيع مكانى نزلت الحلة والناس وقفت وبتشترى جه قالى امشى من هنا لا ابحترلك الجبنة فى الشارع ولسه بيمسك الحلة ولاد الحلال اتحيلوا عليه ساب الحلة وقالى امشى من هنا شلت الحلة وبدور على مكان محدش راضى يقعدنى جانبه الناس مش عارفه انى باجى كل اسبوع علشان ورايا كوم لحم بيكلوا من الجبنة والسمن اللى بابيعه والله برب عيال بنتى والجبنة هى اكل عيشى مش بعرف اعمل حاجة تانى وماعتش فيه صحة انى اميل فى الأرض زى الاول يالا كله عند الله حتى المكان اللى الناس اتعودت عليا فيه مشيت منه ؟

تتأثر أمى بالكلام هى وام سماح وانا عندما سمعت أم هنية وهى

تحكى فرت الدمعة من عينى من كلام يخرج من ست كبيرة زى أم هنية وهى تكمل الحديث

_ انا كنت بدفعله كل اسبوع ارضية مش عارف بيمشينى ليه والنبى انا لما شفت قريبه واقف يبيع مزعلتش منه وقعدت تحت العربية بتاعت قريبه

وترد عليها أم سماح

_ متزعليش يا خالة هنا زى هناك

_ انا مش زعلانه بس بيصعب عليا مكاني والناس عارفنى هناك وناس بتبعت عيالها تاخد منى

ترد أمى وهى حزينه وتتبطب على كتفها

_ ماتقلقيش انا كمان أول مرة اجى هنا بس البركة فى أم سماح هى اللى حجزالى المكان وان شاء الله هتبيعى هنا احسن من هناك

ويأتى رجل فى سن الاربعين يرتدي بدلة سمراء ويقف امام أم هنية

_ ايه ياحاجه انا روحت المكان مالقتكيش هناك

ترد عليه أم سماح

_ لا ما احنا جبناها هنا كل اسبوع تعالى على هنا على طول

_ ماهيي عارفه انا مابحبش الا جبنتها وباخد منها على طول

ويأخذ الرجل ما يحتاجه من الجبنة وتقول أمى فى السر

_ كل واحد عنده اللى مكفيه

وكنا نجلس نراقب بيع أم هنية فوجدنا انها ليها زباين يبحثون عنها فى السوق وكان كل مايأتى اليها احد نخبره ان هنا المكان الجديد لام هنية وتنتهى أم هنية من بيع الجبنة قبل أمى وام سماح وتجلس فى انتظار أمى وتقول أم سماح

_ ايه يا أم هنية مش قولتلك رزق هنا رزق هناك

_ الحمدلله والنبى لو تعرفوا الى بيا ان بنتى جوزها سايبها بعد ما عرف انها مريضه وسايب معاها العيال اربع عيال وملهاش حد الا انا بعد ربنا فجبتهم وجت عندى وهى تقعد فى البيت وتطلع الجموستين بتوع المرحوم ابوها وتحلبهم وتخض وانا ابيع الجبنة والسمن واهو بطلع برزق العيال بعد ما ابوهم سابهم

_ ربنا يقويكى ياخالة وكل اسبوع ماتخفيش مكانك جانبى تعالى ومحدش هيقدر يمشيكى من هنا

_ تعيشى يا بنتى انا قعدت مستنيا الشابه دى كانت راكبه معايا الصبح ومكانتش عارفه المكان هاخدها معايا

_ لا يا حاجه دى هتيجى عندى البيت تتغده معايا وهخدك انتى كما ن

_ لا يا بنتى علشان اعرف اروح بدرى

وتنظر الى أم سماح وهى تقوم تحب على راسها وتشكرها وام سماح تمنعها

_ ربنا يخليكى يا بنتى

_ بس يامه محصلش حاجة

وتذهب أم هنية وهى تحمل حلة الجبنة فاضية على راسها ولم انسي جلابية أم هنية السمراء القديمة التى تحمل تراب من الخلف اثر الجلوس على الأرض وتقول أم سماح

_ باين عليها غلبانة

_ الا غلبانة هو فى حد بيربى عيال بنته الا هى

كتر الف خيرها

ويلف رجل يحمل شاى وتنادى عليه أم سماح

_ يا ابو البنات

ينظر اليها القهوجى وهو يحمل الشاى على يده

_ هات هنا تلاته سكر زياده

_ عينى يا أم سماح

وعندما سمعت أم سماح وهى تقول الى القهوجى يا ابو البنات نظرت الى البائعين الكثيرين من حولى فعلمت ان كل واحد فيهم يحمل هم وحكاية اصعب من الثانية فهى التى تأتى بهم الى السوق يبيعون ويتاجرون ويرزقوا بلقمة عيش حلال وبعدها انتهينا من شرب الشاى كان يقترب العصر من الاذان وانا كل ما يعدى عليا رجل العصارة الذى يحمل عصير قصب وانا نفسى اقول الى أمى عايز كوباية عصير وهى كانت تراقب نظراتى نحو هذا الرجل وبعد ان انتهينا من بيع العيش نادت أمى على الرجل وهو يحمل خمسة كوبيات من عصير القصب

_ خد ياعم

يقف الرجل يعطى الى أمى وهى تعطى الي والى أم سماح وهى تشرب ويمشى الرجل من امامنا ويعود بعد دقائق فنكون قد انهينا شرب العصير وتخرج أمى حساب العصير بعد اعتراض أم سماح على انها هى التى تدفع حق العصير ولكن أمى لا تقبل وقالت

_ ادفعى انتى حق الشاى وانا حق العصير

_ ماشى

وانتهينا من بيع العيش وحملنا الطشت بعد ان بحثت أم سماح فى السوق تأتى بطلبات بيتها وانا امشى فى نهاية السوق وسبحان الله فالكل يرضى بما رزق من البيع وتجد تجار الجملة يتحسبون

مـع التجـار الصغـار والابتسـامة بأصـوات عاليـة مـن التجـار وهـى تقطـع مـن الحسـاب فيكـون الاثنـين راضيـين بالحسـاب وعلمـت ان السـوق فيـه ابتسـامات تسـمى ابتسـامة البيـع هـى ابتسـامة يبتسـمها البائـع الى مـن يقـف عليـه وهـو لا يعرفـه فالـكل هنـا يريـد ان يـأكل عيـش وذهبنـا الى موقـف ترامكـو لنركـب الى بيـت أم سـماح فى منيـل شـيحة ووضعنـا الطشـت فـوق الترامكـوا وركبنـا وبعـد ربـع سـاعة نزلنـا الترامكواعنـد المعديـة ونمـشى بعـد ان نزلنـا الطشـت مـن عـلى العربيـة ونذهـب نحـو بيـت أم سـماح ندخـل فى شـارع عـلى يمـن المعديـة ضيـق واول مـره اشـوف شـوارع فى مصرونمـشى بعيـد عـن الطريـق وندخـل فى شـوارع وانـا انظـر الى البيـوت مـن تحـت الى فـوق سـبحان مـن وقـف البيـوت ورفـع هـذا البيـت وهـو يحمـل خمسـة طوابـق واربعـة وهـو مـن تحـت الطـوب مخـوخ انظـر واتعجـب فدخلنـا الى بيـت مزنـوق فى حـارة ضيقـة نجـد بـاب حديـد مـتر عـلى درفتـين وواحـد مفتـوح والثانيـة مغلقـة ندخـل خلـف أم سـماح وهـى تفتـح درفـه البـاب التانيـة

_ تعالى اتفضلى تعالى

وأمى وهى تدخل من الباب وهى تنزل الطشت

_ بسم الله ماشاء الله

وندخـل ونقابـل بنتـين فى سـن العشريـن الكبـيرة سـماح والصغـيره شـيماء يسـلموا عـلى أمـى وتقـول أم سـماح

_ دى بقى سماح

أمـى تحضنهـا بنـت جميلـة وبايـن عليهـا التعليـم تقـف امـام أمـى وهـى ترتـدى جلابيـة بيتـى صفـراء

_ ودى تانى فرحتى شيماء

بنـت قصـيرة عـن اختهـا بقليـل ترتـدي جلابيـة بيتـى خـضراء وعليهـا ورد وأمـى تحضنهـا

_ اهلا يا حببتى

_ دى أم عماد اللى حاكيت ليكم عليها

البنات فى صوت واحد

_ اهلا يا خالة اتفضلى

وام سـماح تدخلنـا الى غرفـة ضيـوف مفروشـة بالسـجاد القديـم ومخـدادت سـنادة

_ خشى اقعدى

ونجلس انا وأمى وهى تجلس معنا وبصوت خفيف

_ يلا يا بنات هاتى الغده

أمى وهى ترفض

_ مابلاش الغده علشان الحق عربيات توصلنى

_ عربيات ايه دا انتى هتباتى معايا

أمى وهى تبتسم وسماح تقف

_ ماينفعش يا خالة خليكى معانا النهارده ورحى بكرة ان شاء الله

_ يوم فرحك والله هاجى وهعقد معاكى لحد متزهقى منى

_ ازاى بقي دا انتى تنورى

وتخرج سماح وشيماء من الغرفة ويأتوا بالغداء على طبليه

وام سماح تعزم علينا

_ شوفى بقي والله انا مبحبش اعزم على حد مدى ايدك

وتنظرالي مد ايدك ياعماد يالا

_ يالا يا بنات حضروا الشاى

وتخرج البنات بعد ان وضعت الطبلية

_ سماح دى أول فرحتى فى تالته جامعة

_ ماشاء الله ربنا يحرسها

_ وشيماء فى أول سنة السنه دى فى الجامعة والبنات التانية اللى فى اعدادى واللى فى ثانوى بس بيخدوا دروس

_ ربنا يخليكى ليهم

_ انا متفقه مع ابوهم هو يمشى مصاريف البيت وانا اجهز العيال من مدارس ولبس واهو البنات عايزين مصاريف جواز كتير وربنا بيقو ى

_ ربنا يزيدك

وبعد الغداء وتكرار العزومة والالحاح بالاكل

_ ماينفعش انا باكل لسه

أمى وهى تبعد عن الطبلية

_ والله ماهقدر خلاص هو انا هتعزم

وبعد اقتناع أم سماح بأن أمى شبعت اكل تنادى على سماح

_ سماح تعالى شيلى الاكل

تدخل سماح وتنظر الى الاكل وتعزم مره ثانية

_ ايه دا ياخالة ماينفعش الاكل دا هوانا لوجيت عندك البلد هتمشينى من غير اكل

_ والله يا حبيبتى شبعت ربنا يخليكى

وام سماح وهى تعزم

_ والله يا بنتى عمال أكلها وهى اللى مش عايزه

وتحمل سماح الطبلية مع اختها شيماء ويخرجوا من الغرفة وتعود شيماء بالشاى وهى تحمل صانية وفيها ثلاث كوبيات وتنزلها امام أمى وتمد أمى يدها وتاخذ واحدة وشيماء تعطنى كوبيه وتخرج

مـن الغرفـة

_ بعـد مـا تـشربى الشـاى هوريـكى الفـرن الـلى بخبـز فيـه وهفرجـك عـلى البيـت مـن فـوق

_ ربنا يخليكى ليهم وجميلك ده مش هنساه طول حياتى

_ جميل ايه يا عبيطه هو فى جمايل بين الاخوات

_ ربنا يعزك ويخليهوملك

وبعد ان انتهينا من الشاى وقفت أمى

_ يالا بقي علشان الحق اروح للعيال

_ بقي مش هينفع تباتى

_ والله ماهينفع العيال صغيرين وسيباهم مع سعديه

تقـف أم سـماح وتخـرج مـن الغرفـة وتفرجنـا عـلى البيـت بيـت صغـير يقـرب النصـف قـيراط عـلى ثـلاث غـرف وحـمام ومطبـخ وسـلم داخـل البيـت أول مـا تدخـل مـن البـاب تجـد طرقـة طويلـه هـى المنفـذ للغـرف أول غرفـة هـى غرفـة الضيـوف الـلى كنـا نجلـس فيهـا والثانيـة غرفـة نـوم أم سـماح والغـرف الثلاثـة فيهـا الفـرن البلـدى ودخلنـا غرفـة الفـرن نجـد فـرن بلـدى وانابيـب غـاز وطشـت فيـه كـزان ذرة امـام الفـرن وشـعلة تحـت الفـرن موصلـة بالانبوبـة تفاجئـت أمـى بمـا رأت

_ وانا اقول انت بتجيبى الوقيد منين

تبتسم أم سماح وهى تقول

_ لا احنا مينفعش نجيب وقيد احنا معندناش ارض هنا

ونخـرج مـن الغرفـة عـلى المطبـخ وبعديـن نصعـد عـلى السـلم الحجـر عـلى فـوق ثـلاث غـرف مثـل تحـت الاولي تجلـس فيهـا سـماح وشـيماء والثانيـة للبنتـين الصغيريـن وكل غرفـة فيهـا دولاب وتسريحـة ومكتـب للمذاكـرة وعليـه كتـب والغرفـة الثلاثـة مغلقـة بـرزة وقفـل تخـرج أم

سماح من جيبها مفتاح للقفل وتفتح
_ هنا بقي جهاز واحدة من البنات
_ بسم الله
تفتح الباب وندخل نجد الامونيا وفرش عروسة هو فرش احضرته أم سماح الى احد ابناءها للجواز فى اى وقت وتقول
_ كدا لما بت تتخطب متزنقش واقول لحد ادينى
_ عندك حق
_ ما انتى عارف محدش بيشيل حد فى الزمن ده
تتعجب أمى لما تسمع وتتذكر خالى محارب
_ محدش وحياتك دا الاخوات مختلفين
ونصعد الى الدور الثالث سطح مليء بالذرة
_دى بقي درة مخليها مخزون بشتريها أول الموسم وبخزنها هنا مين عارف بتغلي كل ما تبعد
_ ماشاء الله دا انتى بيتك عسل
_ ربنا يخليكى ياحبيبتى
وننزل من على السلم الى تحت وتمسك أمى الطشت وتخرج من الباب وام سماح تحزن وتعزم ولكن أمى تريد ان تمشى وتوصلنا أم سماح الى الطريق ونسلم عليها ونركب ونذهب الى بلدنا ونعود الى البيت بعد اذان المغرب نجد فى البيت سعديه فى انتظارنا تجلس وسط اخواتى فى خوف وعندما ندخل
_ ايه مش عايزه تيجى والا ايه
وأمى وهى تنزل الطشت من على راسها وتعبانة
_ مفيش بس أم سماح خدتنا عندها وغدتنا وكانت عايزنى ابات عندها سابتني بالعافيه

وتقول لمحمد

_ هات اشرب يا محمد

يقف محمد من على الأرض ويقف يأتى بكوباية الماء من على الزير ويعطيها الى أمى

_ جبرت ولا ايه

تبتسم أمى الى سعديه وهى تخرج الفلوس

_ الا جبرت الحمدلله وهناك ايه بيع على اخره

_ مش بقولك مصر واهل مصر

_ والمكسب احسن من هنا الف مرة بس يعنى الضعيف مالوش مكان هناك

_ احنا مالنا مش انتى بتقولى صحبتك حجزالك مكان جنبها

_ الا حاجزة دى حاجزة وحاجزة

سعديه تفضى كيس الفلوس وتعد وتحسب ما اتت بيه من ذرة وغيره وأمى تقول ليها وهى تعد

_ عملتى حاجة للعيال يتعشوا بيها

_ ايوه عملت كابر هناك فى الحلة

تنهض أمى لتحضر العشاء الى اخوتى وسعديه تحسب حسابها وبعد ان انتهينا من العشاء والحسابات مع سعديه نظمنا الاسواق انا ومحمد انا اذهب مع أمى يوم الثلاثاء وهو سوق المركزعلشان قريب عليه

بيت خالى محارب فى الصباح يجلس شكرى المحامى فى الصالة فى انتظار محارب وانعام رجل فى سن الخمسة والاربعين من العمر يرتدى بدلة سمراء ويحمل شنطة جلد ساعة صفراء فى يده اليمين يجلس فى الصالة وينزل عليه محارب وانعام من فوق ويقف

عندما يراهم ويسلم على محارب وانعام
_ اهلا يا متر
_ اهلا بيك يا استاذ محارب
_ ازيك يا استاذ شكرى
_ ازيك يا أم عبد الرحيم عاملة ايه
_ بخير طول ما انت بخير
ويجلسان الثلاثه فى الصالة ويقول شكرى
_ انا شوفت اوراق القضية اكتر من مرة بس انا عايز اشوف الاوراق والعقود اللى كتبها الحاج عبد الرحيم ليك يا استاذ محارب علشان هما بيقولوا ان الاوراق دى مش سليمة
يظهر على محارب القلق ويقول
_ طب وبعدين يا استاذ شكرى
_ ولا بعدين ولا حاجة دى قضية ورث يعنى ممكن تقعد سنة واتنين واكتر
تقول انعام وهى تنظر الى شكرى
_ ايوه هو دا اللى انا عايزه لحد ما يزهقوا وهما اللى هيتنازلوا علشان مش هتقدر تكمل فى المحاكم انت مش عارف هى ماشيه ازاى
ينظر محارب الى انعام فى غضب ويقول شكرى
_ لا من الناحية دى اطمنى معروف قضية الورث نفسها طويل مش زى غيرها من القضايا طول ما نفسنا طويل محدش هيقدر ياخد حاجة مننا
_ انا بقول يا استاذ شكرى احنا ممكن نتفاوض معاهم ويخدوا اى حاجة ويحلوا عن دماغنا

تنظر اليه انعام بغضب

_ انت بتقول ايه تاخد ايه انت باين حنيت ولا ايه

_ دى مهما كان اختى انتى نسيتى ولا ايه

_ عارف انها اختك يعنى انت مش عارف هى بتعمل ايه دلوقتي

وتنظر الى شكرى

_ خليك ماشى زى ما انت يا استاذ شكرى

_ حيث كدا انا عايز الاوراق والعقود بتاعت الأرض والبتيين

انعام ترد على شكرى

_ دقيقة واحده هجيب الاوراق وارجعلك

وتقوم من جانب شكرى وتصعد الى فوق وتغيب دقائق معدوده وتعود بالاوراق و تعطيها الى شكرى

_ خد دى الاوراق كلها

يأخذ شكرى الاوراق وينظر اليها ويقول الى محارب

_ انت قولت ان اخوك وحيد ليه ورث عندك صح

_ ايوه صح

ترد انعام وهى تبتسم

_ هو احنا فين ووحيد فين هو حد شافه من يوم مسافر

شكرى وهويضع الاوراق فى الشنطة ويقول

_ ان شاء الله القضية الى هما رافعنها هتبقى اطول قضية فى تاريخ المحاكم

وتأتى سميرة بالصانيه وعليها قهوة الى شكرى وتضعها امام شكري وتذهب ومحارب يعزم عليه

_ اتفضل يا متر القهوة

يمسك شكرى القهوة ويشرب من الفنجان وبعد الانتهاء من شرب

القهوة ينهض شكرى ويذهب من البيت ومعه الاوراق

******

وبعد ان اخذنا مكان فى الجيزة جانب أم سماح تيسر معنا الحال وبقى معانا فلوس من المكسب من سوق المركز وسوق الجيزة والحمدلله رتبت اوقات المدرسة ولم الحطب والبوص الى أمى والمذاكرة وكنا نأتى بأى شئ بالقسط على كل شهر او اسبوع وجبنا تليفزيون ابيض واسود ثلاث قنوات وحطيناه فى وسط البيت والحال بقى تمام ومرينا على كدا ثلاث سنوات حتى يوم الشهادة الاعدادية ويوم النتيجة استيقظت أمى بدرى وجلست امام التليفزيون وهى تنتظرنى اقوم اجيب الشهادة محمد وسعاد نجحوا ولكن كان نجاحى لهو طعم ثانى فى البيت ومن قلق أمى قامت تصحينى ودخلت عليا الغرفة

_ عماد قوم بقى علشان تروح تجيب الشهاده

نظرت الى يدى اليمنى لارى الساعة الجلد أم تلاته جنية

_ دى الساعة لسه سبعة ونص هما قالوا هتتوزع الساعة عشرة

_ ازاى دى بتتذاع على التليفزيون بره

_ لا ماتخفيش كلها ساعتين وهروح اجيبها

وهى يظهر عليها القلق وتفرك يدها على بعض

_ هو انا لسه هستنى ساعتين يا ابنى

وتخرج من الغرفة ومحمد يقلق من جانبى

_ قوم ياعماد اعمل اى حاجة الساعتين دول علشان امك هتتجنن لو ماجبتش الشهادة

_ ماهما مش هيفتحوا المدرسة الا الساعة عشرة يعنى هروح اقعد قدامها وهما مش موجودين

_ براحتك انا مالى
ولف محمد نفسه باللحاف ونام
وبعد ساعة استيقظت من على السرير وخرجت الى الحمام فوجدت أمى تجلس والقلق والخوف على وجهها
_ ما تروح بقى
_ هغسل وشى وهصلى وهروح اجيبها
_ ماشى وانا هاحضر الفطار لما تيجى
ودخلت الحمام اتوضيت وخرجت وفردت المصلية وصليت وخرجت من البيت الى المدرسة فلم اجد اى مواصله تقرب المسافة الى المدرسة اخدتها مشي على رجلى من الطريق المتعودين عليه وانا فى الطريق اقابل الكل حزين على الدرجات فمنهم من خرج بملحق والى درجته مش هتدخله ثانوى وكل ما امشى اكثر يقابلنى احد الطلاب يقول السنادى الدرجات كلها وحشة وانا واثق من الحل فى الامتحانات وكنت بخرج من الامتحان وارجع الاقى نفسى هنجح ولكن عندما سمعت من كل احداً اقابله بالنتيجة اخاف وعند باب المدرسة وجدت رجال كثيرون ونساء ينتظران ابنائهم يخرجوا عليهم
فدخلت المدرسة وخرجت ومعى النتيجة وانا ذاهب الى البيت لاخبر أمى بالنتيجة ولم يظهر عليا اى شى فالنتيجة فى جيبى
وعندما وصلت الى البيت كان محمد يقف امام الباب ينتظرنى ورأنى من بعيد فدخل اخبر أمى اننى اتيت بالنتيجة وخرجت هى وسعاد من الباب ينظرون الي كيف امشى فرحان ولا زعلان وانا امشى عادى لم يظهر عليا اى شى عندما رأتنى أمى فجلست على حرف الباب وتنظر الي وانا اقترب منها وعندما اقتربت اخرجت

ورقـة النتيجـة وهـى تقـول

_ ايه ياعماد فى ايه

وانـا لم ارد عليهـا فاعطيـت النتيجـة الى محمـد ففتـح الورقـة ونظـر اليهـا وقـال بصـوت عـالى

_ الله واكبر عماد ابنك الاول على المدرسة

فقامت أمى من على حرف الباب وحضنتنى وهى تقول

_ الف مبروك يا حبيبى الف مبروك

وكانـت أول مـرة تفـرح أمـى هـذا الفـرح وهـى بتزغـرد امـام البـاب حتـى يعلـم الجميـع بنجاحـى ودخـولى الثانويـة وحضنـى محمـد وبعده سـعاد واتى الجـيران يباركـوا لامـى بالنجـاح وكانـت فرحـه الجـيران بنـا اكـثر مـن الاهـل فلـم يـري احـد منـا غـير الاحـترام والحـب

******

بيـت محـارب تجلـس انعـام فى الصالـة وهـى حزينـة وتمسـك شـهادة عبـد الرحيـم ويدخـل محـارب مـن البـاب ويـأتى نحـو انعـام وهـو فى لهفـة

_ ايه عبد الرحيم جاب الشهادة

تنظر اليه انعام وهى تهز راسها وتبتسم ابتسامة خفيفة

_ ونجح

محارب يفرح بنجاح عبد الرحيم وهو لم يري النتيجة ويمسكها

_ جايب كام

يمسـك محـارب الورقـة ويقـرأ وهـو مصـدوم ويجلـس عـلى الكنبـة ويقـول لانعـام

_ ايـه ده دى نتيجـة ابنـك دى ماتدخلـوش ثانـوى دا حلـو ان دخـل مـن بـاب البيت

_ اهو نجح وخلاص يبقى ندخله ثانوى خاص
وينظر محارب الى انعام وهو يبتسم ابتسامة سخريه
_ خاصة يبقي بياخد الفلوس دى كلها و الاخر ماينجحش
_ وبعدين هما اللى اتعلموا خدوا ايه غير وجع القلب
_ ايوه صح خدوا ايه غير وجع القلب وياخيبتي فى إختياري ليكى
تنظر انعام فى غضب الى محارب وتقول
_ تقصد ايه بالكلام ده
_ ايوه اقصد انتى عارفه ابن بتاعه العيش اللى مش عجباكى
جايب كام
_ وانا هعرف ليه انا مالى ومالها
_ صح انتى هتيجى جانبها ايه وانا اقول الناس بتباركلى على
نجاح عبدالرحيم وجيت جرى على البيت وانا مستغرب دا ماكنش
بيفتح كتاب بس قولت مش مهم يمكن الدروس اللى كان بياخدها
نفعت
_ هيكون جاب كام يعنى
_ بلاش اصل انتى جاهلة ومش هتفهمى
_ ماتقول ولا انت متعرفش انت كمان اهو هتلاقيه جايب درجة
اوحش من درجة عبد الرحيم
_ صح اوحش بكتير اوى
وبأنفعال وبصوت عالى
_ عماد ابن اختى جاب الاول على المدرسة
تستقبل انعام الخبر بالصدمة ومحارب يكمل فى الكلام وهو فى
ذهول
_ والناس بتقولى الف مبروك واللى يقولى دا الاول على المدرسة

اتاريهـم بيعـيرونى بالموكـوس ابنـك
_ ماخلاص اللى حصل حصل
_ هـو انتـى مـش قـادرة تفهمـى ليـه احنـا هنـا فى الاريـاف الـلى بيعـلى الراجـل وسـط البلـد عيالـه لمـا ينجحـوا فى التعليـم
_ ماتخفـش والنبـى لادخلـه ثانـوى واخليـه يجـب درجـة تتـشرف بيهـا قـدام البلـد كلـه
_ ومين عالم يعيش بكرة
_ ربنا يديك طولة العمر
وانعام بصوت عالى تنادى على سميرة
_ حضري الغدا يا سميرة
وتأخذ محارب وتصعد الى فوق
_ تعـالى بـس غـير هدومـك ونتغـده واوعـدك إنى هفضـل وراه لحـد مايجيـب نتيجـة تشرفـك
ويصعـد محـارب مـع انعـام وهـو يمسـك ورقـة النتيجـة فى يـده وفى أول سـلمة يـترك الورقـة تقـع عـلى الأرض

*****

وفى وسـط البيـت نجلـس انـا وامـي واخـوتي والنسـاء اتيـين الينـا ليباركوا لامـى وكل واحدة
_ الف مبروك يا أم عماد
_ الله يبارك فيكى
ويـأتى العمـدة خـير الرجـال الـذى لم يتركنـا فى اى مناسـبة ان كان عيـداً او فرحـه نجـاح ويقـف عـلى البـاب وهـو يحمـل علبـه حـلاوه وازازتـين شربـات ورد وشـنطة سـمراء ويطـرق عـلى البـاب بالعـكاز
_ ياعماد

وانظر اليه والنساء تقف وتبارك لامى وتذهب من البيت وهم يسلمون على العمدة وتقول احدى النساء وهى تخرج من البيت

_ حمدالله على السلامة ياحج

_ الله يسلمك يا أم مجدى

العمدة خيرى كان فى عمره ولسه راجع من يومين ولم احد يعلم برجوعه تنظر اليه أمى وانا واخوتى نقف فى استقبال العمدة وهو على الباب

_ انا قولت أول بيت اخشه بعد ماارجع من العمره بيت صباح والحمدلله حققلى امنيتى بنجاح يشرفنى

أمى وهى تبتسم

_ تعالا اتفضل يا عم

يدخل العمدة من الباب وتقول أمى لمحمد

_ هات مخده من جوه يامحمد

يدخل محمد الى الغرفة ليأتى بمخده والعمدة يسلم على أمى وبعدها ينظر الي ويحضنى وهو واقف

_ ايوه كدا فرحتنى بالنجاح ونتيجة تشرفنى وسط كل الناس

_ الله يبارك فيك ياعمدة

ويجلس العمدة وسطنا بعد ان اتى محمد بالمخده وجلس عليها ويأتى بعدة الشاى وتجهز أمى الشاى ويقول العمدة

_ شوفتى بقي ياصباح الفرحة حلوه ازاى

_ ايوه ياعم انت بتقول حلوه دا انا من الفجر مانمتش من خوفى

_ البلد كلها مالهاش سيرة غير عماد والنتيجة اللى جابها

انتى النهارده احسن من رجالة كتير فى البلد

_ الحمدلله

_ خالى بالك من عيالك وطول ما انتى وراهم وبتتعبى عليهم ربنا هيفرحك كمان وكمان

_ ما انت شايف انا بعمل ايه علشانهم يا عم

_ كل حاجة بتهون فى لحظة نجاح العيال و كل التعب بيروح يوم النجاح وربنا يسترها عليكى وعلى عيالك وتكملوا المشوار وكل مرة هتنجح فيها انا بنفسى هاجى لحد عندك وهباركلك

وهو ينظر الي وانا اقول

_ شكرا يا عمدة

وبعد ان انتهينا من هذا اليوم الذى فرحت به أمى بالنتيجة وفى الاجازة كنت اعمل عند الجيران فى جمع المحصول حتى نأتى انا واخى بملابس المدرسة وغيرها وكانت أمى عليها مصاريف البيت وكنا فى يوم من الايام نجمع محصول الفاصوليا من احد اراضى البلد وصاحب الأرض لم يكن يقرأ ولا يكتب وانا ومايقرب من خمسة أولاد وبنتين ويأتى الينا الرجل ووقف خلفنا وهو يمسك كراسة وقلم جاف ويقول

_ فى حد فيكم خطه حلو يا عيال

فيقف محمد اخى ويقول وهو يشاور عليا

_ اخويا عماد

ينظر الي الرجل الكبير فى السن وكان يقرب سن الستين من العمر ويرتدى جلابية بنى وكان يملك اراضى كثيره فى الجبل

_ طب تعالا ياعماد

اترك الخط الذى كنت اجمع فيه الفاصوليا واقترب منه وامسك القلم والكراسة واكتب ما يملينى وعندما رأي خطى قال

_ ماشاء الله عليك يا ابنى انت خطك احسن من اى استاذ

وتعرف عليا اكثر وبعد هذا اليوم كان يحب ان يرانى مع العيال كل يوم عنده فى الأرض

****

ودخلت المدرسة الثانوية بمزغونة هى مدرسة مشتركة بين اعدادى وثانوى ولكن المشترك بينهم الحوش فقط وانما يوجد مبنى الى ثانوى مكون من خمسة طوابق والثانى مثله ويجمعنا فى الحوش الواحد الفسحة ولكن ما عرفتة ان ثانوى ليست مثل الدراسة فى السابق هى اصعب بكثير وانا لدي اشغال كثيرة مع أمى فى البيت وكنت اعود من المدرسة الى ان احمل الوقيد الى أمى واغيب يوم فى الاسبوع غير الجمعة ومرت أول سنة من ثانوى ولكن بمجموع ضعيف جدأ ولا انسى هذا اليوم عندما دخلت على أمى بالشهادة ومثل كل عام تنتظر أمى لتفرح وتفرغ تعب العام فى زغروطة النجاح ولكن اخفيت هذا العام استيقظت من النوم وكنت تعبان من اثر العمل فى اراضى الناس من جمع المحصول وذهبت الى المدرسة ودخلت على المدير وهو الذى كان يوزع النتيجة رجل يقرب عمره الاربعين من العمر يرتدى قميص اصفر وبنطلون اسمر قماش وفى يده اليمنى ساعة كاسيو يابانى وعندما تقدمت اليه

_ سلام عيلكم

فرد السلام وكان امامه اوراق فى ملفات كثيرة وشهادات المدرسة امامه

_ وعليكم السلام

_ شهادة أول ثانوى

_ الاسم

_ عماد ابراهيم فصل اولى تانى
وينظر الى الشهادات امامه وهو يردد الاسم
_ عماد ابراهيم عماد ابراهيم اهو
ويخرج الشهادة من بين الشهادات وينظر اليها ويقول
_ ستين فى المية
وعندما سمعت النتيجة حزنت وهو يركز معى ونظر اليها مرة ثانية وسألنى
_ انما مش انت اللى جايب الاول على مدرسة السبيل السنة اللى فاتت
_ ايوه انا
وبأبتسامة سخرية منه
_ ايوه كدا شوفت بقى النتيجة الصح اللى مفهاش غش
هنا مش ابتدائى ولا اعدادى علشان تغش امسك يا حبيبى ومتزعلش هو ده مجهودك الاصلى من غير غش
ومسكت الشهادة وخرجت من غرفة المدير بعد ان سمعت هذا الكلام منه وغمرتنى الدموع وبكيت ليس على ضياع المجهود ولكن على حزن أمى وذهبت من المدرسة الى البيت وكانت أمى واخوتى فى انتظارى وعندما دخلت البيت اخذ محمد منى الشهادة من ايدى ونظر فيها وأمى تقول
_ ايه يامحمد
ينظر محمد الى الشهادة ويسكت وأمى تكرر الكلمة
_ ايه فرحنى يا ابنى
يرد محمد فى حزن من النتيجة
_ نجح بس الدرجة مش اللى هي عايزنها فى أول سنة

تنظـر أمـى اليهـا فتجـد اثـر الدمـوع عـلى عينـى تقـوم وتاخـذنى فى حضنهـا وهـى تقـول

_ عادى مش نجحت وان شاء الله هيتجدعن السنة اللى جاية

وانـا اعلـم ان هـذ الـكلام مـن وراء قلبهـا فتتـشرف بالنتيجـة امـام النـاس وهـى تحضنـى وانـا ابـكى

_ انـت بتعيـط ليـه بـس اهـدى مـش عديـت السـنة الـلى جايـة اتجدعــن وربنــا هيكرمـك

وانـا اعـرف ان أمـى حزينـه اكـثر منـى وفى هـذا اليـوم مخرجتـش مـن البيـت خوفـا ليسـالني احـد عـلى النتيجـة وتدخـل عليـا الغرفـة وتواسـينى

_ انـت لسـه زعـلان يـا عبيـط انـت عـارف أول سـنة دي انـت متعرفـش حاجـة فى ثانـوى

ولم تخـرج أمـى مـن الغرفـة حتـى تبسـمت وهـى تحضنـى واخرجتنـى مـن الغرفـة بعـد ان احـضرت الغـداء واغلقـت البـاب حتـى لا احـد يسـأل عـلى نتيجـة عـماد وهـى تقـول قبـل ان نجلـس عـلى الغـداء

_ اقفل الباب يامحمد

وتنظر الي وهى تبتسم وتقول

_ احنا مش عايزين حد يجى ولا يروح واحنا بناكل

وتجلـس أمـى وسـط اخـوتى وانـا اعلـم ان أمـى مجروحـة اليـوم ولكـن مـالا تعلمـه ان الدرجـات دى ستسـتمر اذا تجاهلـت الـدروس واتبعـت العمـل معهـا ولكـن لم اريـد جـرح أمـى مـرة ثانيـة بعـد مـا جـرى منـى فى سـوق المراكـز

****

وفى اليوم الثانى خرجت أمى لتباشر العمل وتأتى بالذرة وغيرها من تجهيزات الخبيز وعندما خرجت توجه اليها السؤال الذى تريد ان ينساه الناس وهى تمر فى الشارع وتحمل الدقيق وقبل البيت بقليل يقف امام احد البيوت ثلاثه من النساء وتسلم أمى عليهم

_ صباح الخير

_صباح النور

وتقول احدى الجيران لامى وهى تذهب

_ انما عيالك عملوا ايه فى المدرسة يا صباح

وأمى تبتسم وهى ترد عليها وتقف

_ الحمدلله يا خالة نجحوا

_ طب محدش سمع صوتك السنادى

_ اصل دى مش شهادة دى سنة عاديه انما هتسمعيه يوم النتيجة الكبيرة وتعرفى انهم دخلوا الجامعة

وتذهب أمى وهى يظهر عليها الحزن

****

فى بيت خالى محارب وعبد الرحيم يدخل البيت وهو يحمل النتيجة وناجح فى الثانوية الخاصة وينادى على امه

_ يامه يامه

تنزل عليه انعام من فوق وهى فى لهفة

_ خير ياعبد الرحيم

وهو يمسك ورقة الشهادة ويشاور بيها

_ انا نجحت نجحت

تبتسم انعام ابتسامة فرح وهى تنزل من على السلم وتمسك الورقة

_ ورينى كدا

وبعـد ان نظـرت الى الورقـة تحضنـه ومحـارب ينـزل مـن فـوق عـلى الصـوت العـالى

_ ايه الصوت العالى دا فى ايه

انعام وهى تخبره بالخبر

_ انزل شوف عبد الرحيم نجح

يبتسم ابتسامة خفيفة وعبد الرحيم ينظر اليه ويقول

_ وكمان ايه درجة عاليه

ومحارب وهو ينزل من على السلم

_ بتتكلم جد يا عبده

_ امال ايه وليكي عندى خبر كمان

انعام وهى تنظر الى سميرة التى تقف ويظهر عليها الفرح

_ حضرى الشربات يا سميرة هو احنا فدا اليوم

_ عينى يا أم عبده

وتدخل سميرة الى المطبخ ويمسك محارب النتيجة ويقول

_ ماشاء الله شوفت بقى لما شديت حيلك

وعبد الرحيم يقول

_ وخلى بالك دى أول سنة فى ثانوى يعنى أول التقيل

وكمان عرفت ان عماد ابن عمتى صباح جايب درجة مش تمام

عندهـا تفـرح انعـام بخـبر نتيجـة عـماد اكـثر مـن فرحهـا بنتيجـة عبـد الرحيـم وتقـول

_ بتتكلم جد يا عبده

_ والله العيال اللى معاه عرفونى انه جايب ستين فى المية

تبتسم انعام وتقول

_ ايوه كدا ياما نفسى اشوفك يا صباح عامله ايه دلوقتي
ينظر اليها محارب ويقول
_ واحنا مالنا بيها خلينا فى ابننا اللى نجح
ويقول عبد الرحيم وهو يقترب من محارب
_ مش كدا بقى اخد اللى انا عايزه واتفسح فى الاجازه ولا ايه رأيك
ترد عليه انعام وهى تقترب منه
_ ولو هو مرديش خد منى انا
ينظر اليه محارب وهو يبتسم ويقول
_ ماشى يا سى عبده
وتخرج سميرة من المطبخ وتحمل صانية عليها ثلاث كوبيات شربات ورد

****

وفى يوم الثلاثاء ذهبنا انا وأمى الى سوق الجيزة تحت الكوبرى وجلسنا جانب أم سماح وكنت أم هنية تغيبت منذ عام ولا احد يعرف عنها اى شئ وكانت أمى لم تنسى النتيجة وكانت تجبرنى على اخذ كتاب معى الى السوق قبل الدراسة وكنت استلف من احد الطلاب الذى يسبقنى بسنة الكتب القديمة وفى هذا السوق واحنا جالسين وبدأنا البيع وكان يبقي معنا ربع العيش الذى اتينا به من البلد وبعد اذان الظهر فتركت أمى ودخلت اصلى فى مسجد بالقرب من أمى وخرجت بعد الصلاه جلست جانب أمى وهى تخرج من كيس الفلوس وتعطينى فلوس لأتي بعصير وهى كانت تعلم اننى احب عصير القصب ولم اقف بعد فوجدنا سيارة نقل مكتوب عليها المحافظة وكان يركب امين شرطة بالزى المبرى والباقى بالزى المدنى وقفت امام أمى وام سماح وبدأت

الناس بالصريخ وانا وأمى نقف ونمسك الطشت فوجدنا رجل من الشرطة لم انسي هذا المنظر والوجة المريب ذو الشنب الكبير ويمسك الطشت وأمى تتحايل عليه

_ معلش يا باشا اخر مرة يا باشا

وانا اتحايل عليه واقول

_ والنبى يا عم خلاص والنبى ياعم

فلم يسمع صوت أمى ولا صوتى كأنه رجل دون قلب ويأتى احد معه يحملون الطشت والعيش الباقى يرميهم على العربية وبعد ان رمى الطشت والعيش امسك أم سماح هى ايضاً وكانت تتوسل اليه ولم يستجيب وأمى تنهمر منها الدموع وهو يلوه بكلام لم اسمعه من قبل وانظر حولى اجد السوق انهار من الفر والكر الذى يهرب من المحافظة خوفاً على عربيه يحمل عليها لقمة عيشه وبكيت على بكاء أمى ويظهر الحزن على وجه أم سماح وهى تتحايل على الظابط الذى يحمل السلاح ويقف يأمر رجاله ولم يسمع الى احد الا لنفسه وتقول أمى اليه بعد ان عرفت انها خسرت العيش بعد ان تكسر فى العربية

_ طب يا باشا هات الطشت وانا همشى

فرد عليها الامين

_ يبقي تعالى خديه يا روح امك من المحافظة

وانا وأمى نبكى على الخسارة من اخذ العيش والطشت وبعد ما يقرب من ربع ساعة من الذل والاهانة امام عربية المحافظة ولم احد يستجيب يركب رجال المحافظة العربية بعد ان حملت عربيات خضار وغيرها من عربيات الملابس وكان العيش تحت كل هذا ولم يرعى احد ان هذه الست تربى ايتام وتأتى من بعيد

لكسب الرزق الحلال ولم ينظر الى احد فى السوق الا كلمة واحده اشغال الطريق العام وعن اى طريقه تتحدث تقصد الطريق الحلال والاصعب فى هذا الوطن وتترك من يمشى فى الحرام

وعدنا انا وأمى بعد ان قالوا لنا اذهبوا الى المحافظة اعملوا صلح وهيفرج على الحاجة فاستعوضت أمى على كل شى وسلمنا على أم سماح وركبنا وعدنا الى البيت وكانت أمى فى حزن شديد لما جرى فى السوق وتأتى سعديه الى أمى بعدها بيوم وتخبرها أمى بما حدث وهى تجلس مع أمى فى البيت وتقول

_ الحمدلله مادام انتى وعماد بخير دى تسوى فلوس الدنيا

_بس انتى عارفه انا كنت حطه امل كبير فى سوق مصر وكمان العيال مينفعش يشتغلوا دلوقتي علشان الدراسة صعبه عليهم

_ ماتخفيش هتدبر ان شاء الله

وتترك سعديه أمى بعد ان واستها فى ما حدث ويأذن العصر تقوم أمى تصلى وبعد الانتهاء من الصلاه يأتى الينا عباس يخبط على الباب وافتح اليه وهويركب على الحمار

_ ازايك يا عماد

_ الحمدلله ياعم عباس اتفضل

_ شكرا ياحبيبى اندهلى امك

وهوم ينزل من على الحمار وانا اقف على الباب ناديت على أمى

_ يامه يامه

تخرج أمى من غرفتها ويظهر عليها اثر الوضوء وعندما ترى عمى عبا س

_ تعالى ياعم عباس اتفضل

_ لا مش وقته المهم فى واحد من الجيران بيقولى لو صباح عايزه

تبيع قيراط اتنين تقولى وانا هشترى
فقولت انا هبلغها وجيت اعرفك بس وشوفى هتعملى ايه وزيه زى الناس
تنظر أمى فى حيره ولكن لم تأخذ القرار فى هذا الوقت فقالت
_ طب انا هرد عليك كمان يومين
_ ماشى وبرحتك ولا هو هيطير والا الأرض هترخص
_ ماشى بس تعالى اشرب شاى
_ لا علشان مش فاضى وقولت هروح ابلغه
ويمشى عباس من امام الباب وهو على الحمار وندخل انا وأمى ونغلق الباب وأمى تفكر فى الامر وتنظر الي وتقول
_ ايه رأيك ياعماد
_ فى ايه
_ نشوف سعر القيراط كام ونعمل بيه مشروع
_ مشروع زى ايه
_ نفتح دكان او اى حاجة تجيب مصاريف
_ طب نروح الأرض بكرة ونعرف احنا ممكن نبيع من اى حتى علشان نعرف بكام
تفكر أمى فى الامر قليلا وتقول
_ ماشى بكرة ناخد الغداء ونتغده هناك
وادخل انا الغرفة وأمى تدخل المطبخ
وانا اجلس على السرير وفرحان من قلبى بما حدث فى مصر واننا لم نذهب الى الجيزة كل يوم ثلاثاء ولكن كنت خائفا افتح هذا مع أمى ولكن بعد ما حدث لم اهتم الا بالدراسة وتحقيق حلم ابى وأمى وهو النجاح

ونجلس تحت الشجرة فى اليوم الثانى وعمى عباس يجهز لعمل الشاى بعد ان انتهينا من الغداء وهو يشاور على الأرض ويقول

_ هو عايز ياخد من الناحيه الغربية

وتستغرب أمى من الكلام وتقول

_ ايه ده ازاى ارضه من الناحية القبلية وهو عايز يشترى فى الغرب

_ والله يا بنتى هو دماغه كدا

تفكر فى الكلام وتقول

_ دا عايز يربط الأرض ليه هو مفكرنا هنبيع كل يوم قيراط قوله عايز يشترى ياخد القيراط من جانب ارضه ونري من بعيد العمدة خيرى يأتى نحونا وهو يركب الكارته الخاصة بيه وكانت مركونة فى الثرايا من زمان ومابيحبش يمشى بيها الا لما كبر ورجليه بقت تتعبه من المشى الكتير يقترب علينا ويوقف الكارته بعيد عنا واحنا تحت الشجرة وينزل من الكارته وانا وعمى عباس نقف نستقبل العمدة وعمى عباس يقول

_ اهلا بالعمدة

والعمدة يخطى فحل صغير يمشى فيه الماء

_ اهلا بيك عامل ايه يا عباس

_ الحمدلله

ويسلم علينا العمدة يجلس وهوينظر الينا وهو يظهر عليه مبسوط ويقول لامى

_ انا روحت البيت اخبط قالولى انكم فى الأرض قولت لازم اجى اعرفك الأخبار الحلوه

أمى وهى تبتسم من كلام العمدة

_ اخبار ايه ياعم

_ انا لسه مخلص كلام مع احمد ابنى فى مصر وقالى احنا كسبنا القضية بتاعه شركة ابراهيم الله يرحمه

تستقبل أمى الخبر بفرحة وعياط وانا اسقف على ايدى مبسوط بما سمعت والعمدة يكمل ويقول

_ حكمت تاخدى كل شهر معاش وتعويض خمسة الاف جنية

وأمى وهى تبكى وتقول

_ الحمدلله الحمدلله

وهى تمسح دموعها فى الشاش الاسمر وتنهمر أمى فى البكاء والعمدة يهز رأسه ويقول عمى عباس

_ انتى بتعيطى ليه دلوقتي يا بنتى

_ سيبها يا عباس دى دموع الفرحة صباح تعبت السنين اللى فاتت وربنا مابيضيعش حق حد

وبعد ان هدأت أمى من البكاء وتقول للعمدة

_ والله الخبر ده جاى فى وقت ضاقت بى الدنيا اوى ياعم

_ ما ضاقت الا لما فرجت واهو ربنا ما بيسبش حد

_ الحمدلله الحمدلله

وتنظر أمى الى عمى عباس وتقوله وهى تبتسم

_ الغى البيع بقى يا عمى عباس

ويقول العمدة وهو يمزح مع أمى

_ انما انا قولت انتى كسبتى القضيه بس وعملتى كدا ومحدش قالى تشرب ايه ولا اعمل شاى للعمدة طب والله ما انا مكمل الا لما تعمليلى الشاى بأيدك

وأمى وهى تبتسم ابتسامة بعد البكاء

_ عينى يا عم هات البوص ياعماد

ويُكمل العمدة الحديث عن كيفيه اخذ المعاش من البريد أول شهر والخمسه الاف جنية

وانتهينا من الحديث فى الأرض وعدنا الى البيت بعد صلاه العصر سعداء بما سمعنا من اخبار واول مافتحنا الباب سجدت أمى على الأرض تشكر الله على هذا الخبر وانا ومحمد وسعاد ننظر اليها ونبتسم وتقوم أمى من السجده و تصلى العصر

****

وفى الليل جلسنا انا وأمى لنري ماذا سنفعل بالتعويض وقولت

_ نخليه فى البنك وناخد ارباحه

_ طب مانجبهم ونفتح مشروع دكان والباقى نعمل بيه البيت زى الناس نبنى بالطوب الاحمر

_ يامه ماتنسيش احنا هنحتاج فلوس كتير للمبانى وكمان انا هاخد دروس السنادى والمصاريف هتزيد

_ ما انا مش هبطل اروح سوق المركز

_ تانى

_ ايوه اهو دا جانبينا واهو نوايه تسند مع المعاش انت ماسمعتش العمدة وهو بيقول المعاش هيبقى ضعيف أول سنة

_ بس كفاية كدا انتى تعبتى من القاعدة فى الاسواق

_ يعنى هنروح فين الأرض عمك عباس واخدها شرك وانا طول النهار هقعد فى البيت وانا مابحبش قاعدة البيت

_ وانتى من امتي ماحبتيش قاعدة البيت

_ من يوم ما شوفت المكسب وكمان الاول كنت بقعد وعاتله الهم دلوقتى هقعد وانا عارفه انى معايا معاش كل أول شهر

وعلمت من الحديث مع أمى انها لم تريد الجلوس حتى تعرف

ازاي هيمشى البيت بعد اخذ معاش ابى ومرت الايام ودخلنا المدارس وبالفعل الحال فى البيت لم يكن زى ما انا توقعت انا وحدى بأخذ نصف المعاش على الدروس والمدرسة كل يوم من ملازم وغيرها ومحمد وسعاد مصاريف كل يوم فعلمت ان نظرة أمى لم تخطئ وكانت تتحمل على نفسها الذهاب الى السوق والتحضير دون احتياجى معها حتى لا تشغلنى عن الدراسة وكنت اخرج من البيت أول النهار اعود مع اذان المغرب من الدروس والمذاكرة وكنا فى نصف العام الثانى وكنت اجلس مع محمد اخى فى الغرفة وقال

_ انت هتخش ايه

_ ان شاء الله علمى علوم

يتفاجئ محمد من ردى

_ ازاى انت عارف

اقطع محمد فى الكلام

_ عارف انها عايزه مجموع فوق التسعين وانا فى أول سنة جايب مجموع وحش بس ده قرارى من يوم ما شوفت نظرة الناس ليا يوم النتيجة

_ انت مالك ومال الناس خليك عارف اللى بيفشل فى علمى مابيخشش كلية حلوه وبيلحق اى حاجة

_ كل دا انا عارفه وحفظه بس ده قرارى

وبعد الحديث والالحاح ان ارجع عن القرار وانا مصمم عليه وانتهينا من الحديث ومرت السنة وجبت مجموع عالى والحمدلله وانتقلت الى الصف الثالث الثانوى اكون او لا اكون

وفى اجازة اخر العام كانت أمى تجهز للذهاب الى السوق غدا وانا اجلس جانبها وهى تخبز العيش يوم السبت بالليل وهى تمسك

الجلبيه وتغطى بها عمود العيش الذرة وانا اجلس امسك كتاب اقرأ فيه وأمى كانت تميل نحو العيش وهى تمسك صدرها وفجأه قالت أمى بصوت مسموع

_ اه

نظرت اليها وقولت

_ ايه يامه فى حاجة

_ صدرى طابق عليا

تركت الكتاب وقعت أمى على الأرض فجريت عليها وسندتها الى جانب الجدران وجريت على الزير وملئت الكوب ماء وسقيت أمى وهى تستجيب

_ الحمدلله بس انا هبقى حلوه بس ارتاح شويه

ونهضت أمى الى الغرفة لتنام بعد ان ارتاحت قليلاً وجهزت للسوق غدا واطمأنيت عليها وذهبت انا الاخر على غرفتى ولكن لم يأتى الي نوم الا ساعات قليلة قبل ان تدخل أمى على محمد وتيقظه

_ محمد قوم علشان نمشى

استيقظت انا من النوم وقولت لامى

_ انا اللى هاجى معاكى النهارده

فرفضت وقالت

_ خليك انت جنب البيت ومحمد هيجى معايا

ويفوق محمد من النوم ويقول

_ خلاص انا صحيت

وانا مصمم ان اذهب معها وبعد إلحاح قولت لمحمد

_ خليك انت وانا اللى هروح النهارده

علمت أمى اننى مصمم على الذهاب معها السوق فقالت

_ خلاص يا محمد يبقى خلى بالك من اختك
وخرجت أمى من الغرفة وانا خلفها حتى اجهز نفسى فدخلت الحمام وخرجت صليت الفجر وذهبت انا وأمى وسعديه
ولم يعلم احد لماذا اتيت هذا السوق مع أمى لكى اراقب أمى فى تعبها بالامس وبالفعل كانت أمى عندما تقف عن البيع تمسك صدرها وتأخذ نفس طويل كانها كانت تحت الماء وخرجت وعندما يأتى احد للشراء تبتسم وتبيع وتنحنى للبيع حتى يمشى الشخص ولا يحس بتعب أمى وانا اقول
_ يامه انتى تعبانه ماتيجى اركبك عربية وتروحى وانا هبيع العيش وهاجى
_ تعبانة ايه بس دى كرشة نفس وهتروح
ورفضت أمى ان تذهب الى البيت او الى مستشفى المركز وبعد ان انتهينا من البيع اشترينا ما نحتاجه من السوق وذهبنا الى البيت وبعد العوده الى البيت ترقد أمى يومين مريضة ولم تريد لاحد ان يكشف عليها فخافت وعادت الى التحضيرلكل شئ ودخلنا المدرسة وانا فى سباق مع الزمن ولا اترك يوم من الايام ولاساعة الا وانا اذاكر واجتهد فى الدراسة وكانت أمى تغلق علينا الغرفة وتسهر معى كل ليله حتى النوم فى الساعات المتأخرة من الليل فكانت تحضر لي الشاى وتدخل علي دون صوت وانا اجلس جانب الترابيزه الذى عليها الكتب والملازم وفى يوم من الايام تعب عباس ولم يذهب الى الأرض فيأتى احد الجيران ويخبرنا إن الأرض عايزه تشرب وعباس تعبان من اسبوع ولم يعلم احد بتعب عباس لم تخبرنى أمى بما حدث واخذت محمد وسابت سعاد فى البيت جانبى وقالت
_ هنروح انا ومحمد مشوار وراجعين ماشى يا عماد يبقى خلى

بالـك مـن البيـت وانـت بتذاكـر
_ حاضر
وخرجـت أمـى ومحمـد وذهبـوا الى الأرض فأحسسـت بصـداع فى رأسى فقلـت لسـعاد
_ انتى بتعرفى تعملى شاى
_ ايوه اعملك
_ طب اعمليلى كوباية علشان انا صدعت
_ وتـأتى سـعاد لـكى تعمـل شـاى وبعـد الانتهـاء مـن الشـاى وهـى تحمـل الكوبايـة تقـع منهـا عـلى الأرض تنكـسر فتقـول
_ يوه راحت تسقى الغيط وسيبانى اعمل شاى
وانـا اسـمعها مـن داخـل الغرفـة فأبتسـمت عـلى كلام سـعاد وحزنـت ان أمـى لم تخـبرنى بمـا تعمـل حتـى لا اذهـب معهـا وكان هـذا يحفـزنى اكـثر عـلى المذاكـره والاجتهـاد وامتحانـات ثالثـه ثانـوى وكنـت امتحـن فى البدرشـين وكل مـادة اجلـس فى الغرفـة ولا اكلـم احـد حتـى انتهيـت مـن الامتحانـات وفى انتظـار النتيجـة
فى بيـت خـالى محـارب وقـد انجبـت مـرات خـالى طفـل منـذ عامـين وكان اسـمة وحيـد عـلى اسـم خـالى وحيـد الـذى لم اراه منـذ ان وعيـت عـلى الدنيـا ويفطـر خـالى محـارب بـين عبـد الرحيـم وانعـام فى البيـت وينظـر خـالى الى عبـد الرحيـم ويقـول وهـو يـأكل
_ انـت عـارف لـو نجحـت السـنادى وجبـت مجمـوع زى كل سـنة ليـك عنـدى مفاجئـة
يظهرعلى عبد الرحيم الفرح وانعام تبتسم وهى تنظر الى محارب
_ لا من الناحيه دى اطمن انا ذاكرت كويس اوى
_ لا وانـت الصـادق دا انـت كل شـهر كنـت بتاخـد منـى شـئ وشـويات

للدروس
وتقول انعام
_ وماله يا اخويا ماكله من خيرك
ويقول عبد الرحيم
_سيب مفاجأة النجاح لما تظهر النتيجة بس دلوقتي انا عايز فلوس المصيف انا ماشى مع اصحابى الفجر
يتفاجئ محارب ويقول
_ مش تستني لما النتيجة تظهر وبعدين تروح المصيف
_ عادى ما انا هاجى قبل النتيجة بيوم وهرجع تانى
تقول انعام وهى تنظر الى محارب
_ وماله يا اخويا ما تسيب الواد يتفسح ويعيش
_ ماشى بس تكون قبل النتيجة هنا
_ لازم انشاء الله هكون هنا قبل ما تظهر بس انا الى هروح اجيبها زى كل سنة علشان افرحك
يبتسم محارب ويقول
_ ماشى يا سى عبده
يفرح عبد الرحيم وتأتى سميرة وهى تنزل من على السلم وتحمل وحيد بين ايدها

****

وفى يوم ظهور النتيجة فى الصباح واحسست ان البلد بأكملها تنتظر النتيجة منها من يحب الخير الى الابناء ومنهم من يشمت فى شخصاً ما واستيقظت من النوم على صوت أمى مثل كل عام وهى تدخل علي وقلقنا ويظهر عليها خوف السنين وتقول وهى تدخل الغرفة

_ عماد ما تقوم بقي يا حبيبى
انظر الى أمى وهى خائفة
_ ماشى ياامه ايه مالك
_ مفيش بس قوم هات النتيجة وانا هبقي كويسة
بتتذاع على التليفزيون من الصبح
_ ان شاء الله خير
انهض نحو الحمام ادخل اتوضي واخرج ولاول مرة أمى تريد ان اذهب من امامها
_ اتجدعن بقي متأخرش واركب على طول حتي خد عربية ليك لوحدك مخصوص
واخرج من البيت وانا ذاهب نحو المدرسة واقدم خطوه وأخر الثانية واري الناس فى البلد تنظر الي وانا امشى واعرف انهم يتكلموا عني فالكل يعلم اننى فى اخر سنة فى ثانوى
ودخلت المدرسة سألت عمى صلاح الفراش وهو يجلس يأخذ الحلوة من الطلاب الناجحين يجلس على كرسى خلف باب المدرسة سالته
_ السلام عليكم يا عمى صلاح
_ وعليكم السلام
ومن غير ما اتكلم شاورلى على غرفة المدير وقالي
_ المدرسين كلهم فى غرفة المدير
ذهبت وانا اعلم ان المدير لا يسكت امام الجميع اذا كانت النتيجة مش كويسة وكان فى الغرفة جميع المدرسين وكان يجلس الاستاذ اشرف مدرس اللغة العربية هو فى عمر الاربعين وهو من احب المدرسين الي فى المدرسة وكان دائما يقول اننى سادخل كليه الطب

ولسة بدق على الباب ينظر الي جميع المدرسين ويقف اشرف من على الكرسى ويجرى علي وكانما فى مارثون ويحضنى حضن لم اري مثله فى حياتى ويقول وهو ياتى علي

_ اهو اللى رهنت عليه اهو

ويحضن فيا والجميع يبتسم من المدرسين ويقول

_ الاول وانا فى ذهول ولا اعرف شيئا حتي هدأ من مقابلتى وقال

_ انت الاول على مدرسة مزغونة

وعندما سمعت الكلمة لم احس بشئ من البكاء الا وهما بيقعدونى على كرسى وبيسقوني الماء واخذت نفسى وهديت من المفاجأة وسلم عليا جميع المدرسين واصر المدير اننى اجلس حتي يأخذ معى صورة تذكاريه يحتفظ بها فى دولاب الشرف فى المدرسة ويعتذرلي انه شك فى نتيجة أول سنة وبعد الظهر خرجت من المدرسة واحمل شهادة الثانوية وانا الاول لثانى مرة بعد اعدادى واقف على الطريق واركب ترامكو ولكن احساسى والعربية تمشى باقصي سرعة احس اننى اريد النزول من العربية واجرى اسرع من العربية حتي افرح أمى ونزلت من العربية ولم استني عربية من على المزلقان حتي اركب داخل البلد فأخذتها جرياً على أمى ومن بعيد تستقبلنى أمى وهى تجلس امام الباب مع اخوتى والجيران يقفوا امام بيوتهم فى انتظار خبر صباح هل تفرح أم تغلق بابها اليوم وانا من بعيد انادى على أمى واقول وانا ارفع الورقة واجرى نحو البيت

_ الاول على المدرسة يا امه الاول

تقابلنى أمى بالزغاريد وتحضنى وبعدها تمشى خلفى وانا امامها وهى تزفنى بالزغاريد والكل يبارك الى أمى ومنهم من يرد عليها

الزغـرودة حتـي لم نجلـس مـن كـثرة النـاس الـذى اتـوا للمباركـة لي ولامـى

****

يدخل محارب الى البيت وبصوت عالى

_ انعام انعام

تنزل انعام من فوق وهى تقول

_ ايه فى ايه يامحارب

_ الشهادة بانت وابنك لسه ماجاش من المصيف

_ وانت مين اللى عرفك

_ انتـى مبتتفرجيـش عـلى التليفزيـون طـب سـيبك مـن كل ده الـواد عـماد ابـن صبـاح اختـى جايـب الاول والبلـد كلهـا بتتكلـم عليـه ولمـا عرفـت جيـت يمكـن ابنـك رجـع

_ لسه ماجاش طب كلمه كدا

يقـترب محـارب جانـب التليفـون ويجلـس وهـو يظهـر عليـه القلـق ويقـول

_ هـو فـين الرقـم الـلى هـو سـايبه تمسـك انعـام ورقـة تحـت اجنـدة التليفـون وتعطيهـا الى محـارب

_ هو دا الرقم

_ يضرب محارب الرقم وينتظر الرد وعند الرد

_ ايوه وعليكم السلام

_ فى واحد عندكم اسمه عبد الرحيم محارب

_ ايه سافر من ساعة ماشى شكرا

ويغلق محارب التليفون وتجلس جانبه انعام

_ بيقول ان ماشى من ساعة

_ طب يا خويا ربنا يجيبه بالسلامة
ويظهر القلق على محارب ويفرك فى يده وانعام تقول
_ اهدي انت بس وربنا يسهل ويجى يجبها وهينجح ان شاء الله
ويقف محارب وهو يقول
_ هو انا هيجيلى صبر انا هروح المدرسة وهجيبها انا
ويخرج محارب من البيت نحو المدرسة

****

وفى عـز الفرحـه فى بيتنـا مـن الجميـع يـأتي بالشربـات وازايـز الكـولا الصغـيرة والجـيران داخلـه وطالعـه ويـأتى الرجـل الـذى لم يتركنـا فى اى وقـت العمـدة ويقـف امـام البـاب بالكارتـة وينـزل وهـو يُحمـل الكارتـة بالهدايـة وينـادى وهـو يقـف امـام البـاب
_ يا دكتور عماد
ولم انـسى ان أول واحـد قـالى يـا دكتـور مـن اهـل البلـد كان العمـدة خـيرى الـذى لم يفـت اى واجـب مـن اهـل البلـد وكان محبـوب بـين النـاس ومعـروف عنـه كلمـة الحـق فخرجـت عليـه مـن بـين النسـاء المتواجديـن فى بيتنـا وهـم يشـاهدون التليفزيـون فى وسـط بيتنـا واغـانى النجـاح تـذاع واسـتقبل العمـدة وهـو يفتـح ذراعيـه عندمـا رأنى و يأخـذنى فى حضنـه وهـو يقـول
_ الف مبروك يا ابنى
_ الله يبارك فيك ياعمدة تعالا اتفضل
فيمتنع من الدخول بين النساء ويقول
_ هبقـي اجيلـك بكـرة يكونـوا النـاس فرحـت بيـك بـس خـد دى هديـة النجاح
واقـترب مـن الكارتـة واحمـل الهديـة وكانـت فى ذلـك الوقـت كمبيوتـر

وحملتـه الى الداخـل عـلى مرتـين وكان محمـد وأمـى مشـغولين بالضيـوف وكانـت أمـى تحمـل الشربـات الى النسـاء اللذيـن يحمـلان السـكر والشـاى حـلاوة نجاحـى ومحمـد يسـجل الواجـب الـذى يـأتى بيـه النـاس داخـل الغرفـة وادخـل عليـه وانـا احمـل الكيسـة واحـضرت الشاشـة بعـد ان ركـب العمـدة وذهـب مـن امـام البـاب وكانـت فرحتـي بالكمبيوتـر لا توصـف

****

يظهـر محـارب وهـو يدخـل مدرسـة عبـد الرحيـم الخاصـة وهـى مدرسـة فى مزغونـة ايضـا ولكـن عـلى الطريـق مـن الخـارج يدخـل محـارب الى المديـر فى المدرسـة فيجـد رجـل كبـير يجلـس فى المكتـب عـلى الكـرسى يخبـط محـارب يقـف المديـر فى اسـتقباله

_ سلام عليكم

يرد المدير وهو يقف ويسلم عليه

_ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته اتفضل

يجلس محارب امام المدير ويقول محارب

_ انا ابقي ابو عبد الرحيم محارب

_ اهلا وسهلا تشرفنا

_ ربنـا يخليـك انـا سـمعت ان النتيجـة طلعـت وعبـد الرحيـم مـش هنـا فجيـت علشـان اخدها

_ تحت امرك

_ شكرا يا استاذ

ينـادى المديـر عـلى الفـراش ويطلـب منـه ان يـأتى بنتيجـة عبدالرحيـم مـن الاسـتاذ المسـئول ويـأتى الفـراش بالشـهادة ويعطيهـا الى المديـر وينظـر فيهـا المديـر

_ اتفضل

يمسك محارب الشهادة وينظر فيها وتتغير ملامح وجهه تماماً وباستغراب وبابتسامة سخرية

_ ازاى لا مش فاهم انت متأكد ان دى شهادة عبد الرحيم ابنى

_ ايوه طبعا ايه انت متعرفش مجهود ابنك

_ مجهود ايه الواد طول السنتين اللى فاتت بيجيب فوق التسعين يقوم فى اخر سنة يجب خمسة وخمسين فى المية دا كمان مكملش خمسة وخمسين

يبتسم المدير ابتسامة خفيفة ويقول

_ اهدي بس ودقيقة وراجعلك

ويقوم المدير من على المكتب ويخرج من الغرفة ويعود بعد قليل ومعاه دوسيه نتيجة السنين الماضية ويقول وهو يعطيها الى محارب

_ اتفضل شوف ابنك عبدالرحيم جايب كام فى السنتين اللى جه فيهم من اعدادى علينا واحنا قبلنا

وينظر محارب فى الاوراق الدفتر ويقول المدير

_ ابنك طالع فى سنة اولي بخمسين فى المية ودة معناه ان احنا اللى نجحناه وتانية هتلاقيه جايب نفس النتيجة وشوفت نتيجة السنادى قولت يمكن كان بياخد دروس بره المدرسة ولا حاجة خلته يجيب فوق الخمسين

محارب فى ذهول

_ هو مابيخدش كمان دروس

_ انا بسال عن كل طالب عندى كل شهر المستوي اللى كان جى بيه واللى هو بيتعامل بيه هنا بس عبد الرحيم كان جاى من

اعـدادى بنفـس النتيجـة وكنـا بنكلمـك فى البيـت علشـان نعرفـك النتيجـة فكانـت المـدام الـلى بـترد علينـا وبنعرفهـا ومحـارب يسـمع الـكلام فى ذهـول تـام مـن مـا حـدث مـن انعـام وعبـد الرحيـم ويخـرج مـن المدرسـة وهـو يمسـك ورقـة النتيجـة وفى اتجـاه البيـت وهـو غضبان ويفتـح البـاب ويدخـل وانعـام فى انتظـاره وتقـف مـن عـلى الكنبـة فى الصالـة امـام التليفزيـون وهـى تقـول

_ ايه الأخبار جبت النتيجة

ينظر محارب الى الورقة ويعطيها الى انعام وهو يقول

_ كام مرة المدرسة تتصل بيكى وانت بتخبى عليا

تتفاجئ انعام من الخبر وبعدما رات نتيجة عبد الرحيم

_ انا كنت خايفه

يقطـع محـارب انعـام ويضربهـا بالقلـم وهـى تقـع عـلى الكنبـة مـن قـوة القلـم وينهمـر عليهـا بالـضرب

فتهرب انعام على فوق و يقول

_ يـاولاد الكلـب بتكدبـوا عليـا طيـب مـاشى وانـا مسـتنى الشـملول بقـي بيـزور النتيجـة

ويجلـس محـارب فى انتظـار عبـد الرحيـم والغضـب عـلى وجهـه وبعـد سـاعات مـن الانتظـار وهـو يفـرك فى يـده ويدخـل عبـد الرحيـم مـن البـاب وهـو يحمـل شـنطة الهـدوم وفرحـان وينـادى عـلى امـه

_ يا امه يا امه

تنـزل انعـام جـرى مـن فـوق عـلى عبـد الرحيـم ويـأتى محـارب مـن الصالـة الى أول السـلم وتقـف انعـام جانـب محـارب وعبـد الرحيـم امامهـم وهـو فرحـان ويقـرب مـن ابـوه

_ انا نجحت

لم يظهر اى اثر على محارب وانعام من فرحه عبد الرحيم وهو يقول

_ ايه انت مالكم كدا بقولكم انا نجحت ايو يا امه نجحت

محارب باستهزاء

_ وجبت كام السنادى

يتفاجئ عبد الرحيم من الكلمة ولكن يحول الهروب من السؤال ويقول

_ انا مش مهم الدرجة المهم انى نجحت

_ لا ما انا لازم اعرف انت جابت كام علشان اعرف انت هتخش كلية ايه

يفكر عبد الرحيم ويضرب ارقام فى سره امام ابوه وامه ويقول

_ يعنى فى حدود خمسة وثمانين

ويلف محارب ويعطى ظهره الى عبدالرحيم ويخرج النتيجة من جيب الجلابية ويقول

_ اقرأ النتيجة دى كدا

وعبد الرحيم يأخذ الورق ومحارب معطيه ظهره فينظر عبد الرحيم الى امه وهى تنظر اليه ثم تنظر الى الأرض فينظر عبد الرحيم الى الورقة ويقول

_ انت جبت النتيجة

ولم يكمل عبد الرحيم الكلمة وينهمر محارب عليه بالضرب ويقول وهو يضرب

_ خمسة وثمانين خمسة وثمانين طب انا لازم اكملهم التسعين

وتحاول انعام ان تبعد محارب عن عبد الرحيم وهو ينهمر بالضربحتي يتعب محارب من الضرب وانعام تبكى يقع عبد

الرحيـم عـلى الأرض ومحـارب يكمـل ضرب فيـه

****

وجلسـت انـا وأمـى ومحمـد وسـعاد نتفـق عـلى كيفيـه مـشى الامـور معـي فى الجامعـة قالـت أمـى

_ ماتقلقـش معايـا الفلـوس بتاعـت ابـوك الـلى فى البنـك دول ماحـدش جـه جنبيهـم لغايـه دلوقتـي خـد الـلى انـت عايـزه منهـا للجامعـة وانـا ربنـا يقوينـى ونكمـل لمحمـد حـق الـدروس مـن المعـاش وبيـع العيـش ورتبنـا احاولنـا عـلى كل شـئ واقتربـت الجامعـة وانـا اسـتعد للعـام الجديـد فى الجامعـة ولكـن كان امامنـا عقبـة الأرض لم احـد يريـد ان يـزرع ويأخـذ نصـف المحصـول فقررنـا ان نأجرهـا الى احـد الجـيران ولم يكـن احـداً يملـك الوقـت لـلارض بعـد ان دخـل محمـد فى ثانـوى وانـا فى الجامعـة وأمـى وسـعاد يعمـلان فى الخبيـز وبعـد عـام مـن دخـولى الكليـة طـب القـصر العينـى جامعـة القاهـرة واندمجـت فى الدراسـة وكانـت أمـى تفـرح عندمـا تـرانى ذاهـب الى الجامعـة وكانـت دائمـا تصاحبنـى حتـي اخـر الشـارع وكانـت لا تنـادى عليـا الا بكلمـة يـا دكتـور امـام الجـيران وكنـا عندمـا نخـرج الى اى مشـوار سـوياً فطـول الطريـق تكلمنـى عـادى الا امـام الجـيران فكانـت تبتكـر اى شـئ حتـي تنـادى عـلي بكلمـة يـا دكتـور فكانـت الغطـاء امـام النـاس وعندمـا نذهـب الى المركـز نـأتى بملابـس او نخـرج فى اى مـكان فكانـت تريـد ان تخـبر النـاس بأننـى فى كليـة طـب وانـا فى أول سـنة ولكـن عنـد أمـى تخرجـت وبقيـت دكتـور وكان الجـيران لا يتكلمـون معـى الا وينـادون مثـل أمـى تنادينـى بالدكتـور وانـا اعلـم ان أمـى تشـبع جـوع الـذل الـذى راءتـه بالكلمـة وبعـد ثـلاث اعـوام مـن الدراسـة عـلى هـذا الحـال ودخـول محمـد كليـة هندسـة وانـا فى تالتـه طـب فمرضـت أمـى مـرض

شـديداً وجلسـت فى البيـت ولم تخـرج مـن البيـت حتـي اتيـت بعربيـة وحملـت أمـى عـلى المستشـفى وانـا ومحمـد حولهـا ومعنـا سـعاد وعنـد الدكتـور فى المستشـفى بعـد ان كشـف وقمنـا بالتحاليـل والاشـعة ومـن وراء أمـى يقـول

_ لازم عملية جراحية ضرورى عندها التهاب رئوى حاد

وده بايـن عليهـا مـن زمـان فقفـل شرايـن القلـب نتيجـة دخـان او حـد بيـشرب سـجاير جنبيهـا كتـير

وانا حزين واقول للدكتور

_ طب العملية هتتعمل فين يا دكتور

_ مفيش مكان الا معهد ناصر

واخرج على أمى وهى تعبانة واخذ محمد على جنب

_ انـا هـروح دلوقتـي اجيـب الفلـوس الـلى فى البنـك بتاعـت ابـوك علشـان العمليـة وانـت خـد امـك واختـك وروح علشـان انـا هطلـع عـلى دكتـور عنـدى فى الجامعـة هخليـه يشـوف التحاليـل والاشـعة ويأخذ محمد أمى وسعاد فى العربية ويذهب على البيت

****

وفى بيـت محـارب يظهـر وهـو ينـادى عـلى وحيـد ويـأتى اليـه ولـد عنـده خمسـة سـنوات وهـو يجلـس امـام البيـت فى الجنينـة وانعـام جانبـه وتقـول انعـام بعـد ان انزلـت سـميرة القهـوة امامهـم

_ ايه ماسمعتش باللى حصل

_ ايه اللى حصل

اختك صباح عيانه وبيلفوا بيها على المستشفيات

_ ربنا يشفيها

_ ايـوه ربنـا يشـفيها بـس ايـه شـكرى ابـن عمـى اسـتاذ لـولاه كان زمـان

صباح واخده ربع الخير دا كله

_ ماهو التانى واخد شئ وشويات

_ يستهال واكتر من كدا يستاهل

تسمع سميرة الحوار وهى تقف جانبهم وانعام تنظر الى سميرة وتقول

_ فى حاجة يا سميرة

_ لا مفيش بس انا واقفه يمكن تعوزوا حاجة كدا ولا كدا

_ لا خشى ولو عوزنا هنادي عليكى

تدخل سميرة من جانب انعام ومحارب ويقول محارب

_ انما الشملول ابنك فين مش باين يعنى

_ مفيش بس من يوم ما جاب العربية وهو بيقعد فى المعهد على طو ل

_ ايوه بدفع دم قلبى فى المعهد وكمان جايب عربية

_ ياخويا خليه ينبسط هو الواحد بيعمل الفلوس ليه مش عشان يبسط بيها عياله

_ بس مايخدش الفلوس دى كلها لمى ايدك شوية الفلوس الكتير بتبوظ العيال

وتغير الموضوع انعام بمكر الحريم

_ انما ايه اللى جاب موضع عبده ما احنا كنا بنتكلم على صباح

_ صباح ايه بقي ما انتى قطعتينى من اختى من زمان

_ ايه انت قلبك هيحن ولا ايه انت ناسى ان عندك عيلين لسة قدامهم كتير

وتقطع سميرة حديثهم و تقول

_ انا هنزل البلد هجيب حاجة وراجعة على طول يا أم عبده

_ ماشى بس متاخريش
وتذهب سميرة من امام انعام ومحارب
ولم احد يعرف ان سميرة هى الذى كانت تأتي من وقت الى اخر لتطمئن على أمى من وراء محارب وانعام
وكانت تخبرنا بكل شى يحدث فى البيت وتخرج سميرة من البيت وتأتى الى أمى وكانت أمى ترقد على السرير فى غرفتها ويجلس بجوارها سعاد ومحمد وتنادى سميرة
_ أم عماد
وتدخل من الباب الى كان مفتوح بعد انا عاد محمد بامى من المستشفى وتقف سعاد من جانب أمى وتجلس سميرة بعد ان قبلت أمى من ايدها وأمى يظهر عليه التعب
_ حمدلله على السلامة
وترد أمى بصوت مذبوح
_ الله يسلمك ياسميرة
_ انا أول ما عرفت سيبت البيت وقولت اجى اطمن عليكى
_ فيكى الخير
وتقول أمى وهى تنظر الى سعاد
_ اعملى شاى لسميرة
فترفض سميرة حتي لا يحس بغيابها انعام ومحارب وبعد قليل تذهب سميرة وتقول
_ ان شاء الله هجيلك كل يوم اطمن عليكى
وتخرج سميرة من البيت وتجلس سعاد مكان سميرة بعد ان ردت الباب خلفها وعدت انا الى البيت بعد يوم تعب وشاق بعد صلاة العشاء واخذت محمد وقولت له

_ حالـه امنـا خطـر والدكتـور بتاعـى قـالى الحـق اعمـل العمليـة علشـان الشرايـين ضيقة اوى

_ انت مش جبت الفلوس

_ ايوه

_ خلاص اجرى فى الاجراءت وربنا يسهل

وبـدات فى اجـراءت ودخلـت أمـى غرفـة العمليـات فى معهـد نـاصر وعملـت العمليـة وخرجـت مـن غرفـة العمليـات وانـا ومحمـد وسـعاد بجوارهـا فى المستشـفى ثـانى يـوم العمليـة ويدخـل علينـا الدكتـور الـذى اجـري العمليـة

_ سلام عليكم

فـأرد السـلام انـا واخـوتى وأمـى كانـت تعبانـة مـن العمليـة وهـو يمسـك الورقـة ويقول

_ حمد لله على سلامتك يا حاجة صباح

ويخرج وانا اخرج خلف واقول له

_ ايه الأخبار يا دكتور

_ هـو لغايـه دلوقتـي الأخبـار حلـوة بـس لسـة هنشـوف الجسـم هيقبـل الصـمام الـلى احنـا حطنـاه ولا لا

_ طب هى كدا ممكن تخرج امتي

_ والله مش قبل اسبوع بس هتحتاج رعايه

_ لا مـن الناحيـة دى اطمـن انـا طالـب فى كليـة طـب وهعـرف اعلـق ليهـا المحليـل واباشـيرها

_ انـا عـارف انـك طالـب عنـد الدكتـور محمـد الغـزالى وهـو كان موصينـى عـلى العمليـة

_ شكرا يا دكتور

واستأذن الدكتور وذهب من امامى وانا ادخل على أمى
_ خلاص الدكتور طمنى وقالى لو عايزين تخرجوا هيكتب على خروج بس بعد اسبوع
وجلست جانب أمى على سرير
ومر اسبوع و عدنا الى البيت مع أمى وكانت أمى ترقد على السرير فى غرفتها وكان الناس يدخلوا يزروها بعد ما عرفوا بعودتها من المستشفى ويأتى العمدة خيرى وهو تعبان من المرض ولكن يصمم ان يأتى الى أمى ويتكلم معى عن حالتها واخبره بما حدث الينا فى المستشفى وبعد فترة من ميعاد العملية يضيق معى الحال من الفلوس فأنا اليوم احمل هم الاسرة ولا يوجد دخل الا المعاش وأتيت بمحمد وتكلمت معه فى الغرفة
_ اسمع انا استلفت من ناس كتير
_ والعمل
انده على سعاد حتي تسمع ما نقول
_ سعاد تعالى
وتدخل سعاد الى غرفتنا ويجلسان الاثنين امامى على السرير واقول
_ انا كنت عايز ابيع قيراط من الأرض انتم شايفين المصاريف عاملة ازاى
تقول سعاد
_ بس امك كانت بتحرص على الأرض من زمان
_ عارف الكلام ده بس فى الوقت الى احنا فيه ماينفعش نتأخر عن ميعاد الدواء
يفكروا فى الامر ويقول محمد
_ اتوكل على الله وبيع قيراط علشان نعرف نمشى

_ وانتى ايه رايك يا سعاد

_ بيع بس محدش يعرف امك احنا عملنا ايه

وبعد هذا الحوار بيوم واحد عرضت الموضوع على احد الجيران انى عايز ابيع قيراط ارض ولم يوافق وكان يريد ان يعطينى الفلوس سلف ولا ابيع له ولكن اصريت ان اكتب عقد القيراط ونقص النصف فدان قيراط حتي استطيع الاهتمام بمصاريف البيت فأنا اليوم فى رابعة طب ومحمد فى تانية هندسة وسعاد لم تكمل وجلست جانب أمى فى البيت ومرت الايام علينا وكل يوم تتعب أمى وكل دكتور يكشف عليها يثبت ان جسمها لم يقبل الصميم وان عملنا عملية ثانية سيكون خطر على أمى ولا اعرف ماذا افعل وانا كل يوم امر على جميع اساتذتى فى الجامعة ومعى كل التحاليل والاشعة ولكن دون جدوي

******

بيت خالى محارب من الداخل وينزل محارب من على السلم ويرن التليفون الارضى ومحارب لسه بينزل من على السلم وتأتي سميرة من المطبخ لترد يقول لها

_ خليكى انتى انا اللى هرد

ويقترب محارب من التيلفون ويرفع سماعة التيلفون ويقول

_ الو

_ ايوه انا محارب عبد الرحيم

يتغير وجه محارب وهو مصدوم

_ ازاى وفين

ويغلق محارب التليفون ويسرع على فوق يرتدى ملابسه وينزل على طول ويركب العربية الذى اشتراها منذ عام عربية بيجو

رمادى ويذهب من امام البيت الى المستشفى بعد ان عرف ان عبد الرحيم عمل حادثة وهو دلوقتي فى الانعاش
ويدخل محارب مستشفى الحوامدية العام بالعربية الخاصة
ويطلع على الانعاش يجد عبد الرحيم تحت الاجهزة ويجلس جانب عبد الرحيم وهو ينظر اليه فى ذهول ودقيقة تدخل عليه الممرضة وتقول
_ لو سمحت ممكن تنتظر بره علشان الدكتور بيمر
يخرج محارب من الغرفة المجهزة وهو ينظر الى عبد الرحيم وكان عبد الرحيم فى غيبوبة يجلس محارب فى استراحة العناية المركزة وبعد قليل خرج الدكتور من عند عبد الرحيم ويقف محارب ويقول للدكتور فى لهفة
_ ايه الأخبار يا دكتور
ويقف الدكتور امام محارب ويقول
_ انت ابوه
_ ايوه يا دكتور
_ ادعيله يعدى الثمانية واربعين ساعة بعد العملية ابنك كان بيسوق وهو شارب وباين عليه كان متقل فى الشرب الخبطة جت جامده فى الدماغ فعملت قلقلة فى المخ فبعد التمانية واربعين ساعة اقدر اقول اذا كانت العملية نجحت ولا هنعمل واحدة تانى
ويذهب الدكتور من امام محارب ويجلس محارب يبكى ويرفع راسه فوق ويقول
_ يارب اقف جانبى
وبعد اليوم الاول فى المستشفى يأتى الدكتور يجد انعام ومحارب يبكيان امام غرفة عبد الرحيم فيقول

_ ارجوكم امشوا دلوقتى ويبقي تعالوا شوفه بكره علشان كدا انت بتتعبنا ومش عارفين نتابع الحالة وانت واقف

انعام تقول

_ لا انا مش همشى واسيب ابنى

والدكتور يقول

_ ماشى يا ستى انا بقول تعالى بكرة الصبح

محارب وهو حزين يقول للدكتور

_ حاضر يا دكتور حاضر حاضر

يسحب محارب انعام ويذهب من المستشفى وهى تمانع ان تمشى معاه وبعد الحاح محارب تمشى معه

ويدخلان البيت وهم فى حزن شديد ويصعد محارب السلم مع انعام

****

وفى اليوم الثانى فى غرفة نوم محارب هى غرفة بها دولاب وتليفزيون وتسريحة وسرير وعلى يمين السرير درج وعليه اباجورة وعلى الشمال درج وعليه اباجورة ويظهر محارب وهو ينام جانب انعام على السرير وهو يهز راسه وعرقان ويقوم من النوم مصروع ويقول

_ صباح ايوه يا صباح

تقوم انعام على صوت محارب وفى لهفة

_ ايه فى ايه

وهو يجلس على السرير تحت اللحاف

_ مفيش كابوس

يمسك كوباية المية من جانبه ويشرب وتقول انعام

_ ماتقوم نروح لعبد الرحيم

_ هتروحى فين دلوقتي فاضل على الفجر ساعتين ننامهم ونقوم نروح

ويكمل محارب نومه وهو يفتح عينه ويفكر فى الحلم الذى رأه وكيف ينادى على صباح وينسي عبد الرحيم المتواجد فى المستشفى ويقول بصوت منخفض

_ ايه اللى جاب صباح مع عبد الرحيم فالعربية

فكنت اجلس انا والعمدة ومحمد اخويا فى وسط البيت ونتكلم فى امر أمى فقال العمدة

_ شوف يا دكتور انا مستعد ادفع من جنية لمية الف

بس متأخرش فى علاج امك

_ عارف والله يا حاج بس الموضوع مش فلوس أمى تعبانه ومش عارفة تاخد نفسها من العملية الاولانية والدكتور خايف يعمل التانية علشان جسمها تعب من الاولانية

وبعد الحوار قليل يقوم العمدة ليحضر نفسه لصلاة الجمعة ونقف انا ومحمد لنصلى الجمعة فى المسجد وتركنا سعاد جانب أمى

وفى الحوامدية العنايه المركزة يجلس محارب وانعام امام الغرفة وعبد الرحيم تحت تقصير البنج وقرأن الجمعة يقرأ ومحارب يضع يده على خده وينعس جانب انعام والممرضين ماريين عليهم وهم يجلسان على الكراسى امام الغرفة ويقوم محارب مصروع من النعس وبصوت عالى يقول

_ صباح صباح ماشى يا ابه

وهو يقف فى زغفه وانعام تمسك وتطبطب عليه

_ اهدا اهدا

يجلس محارب وهو يفكر فى ابيه الذى اتي اليه فى الحلم ويوصيه على صباح ويأذن اذان الجمعة يقف محارب

_ انا هروح اصلى الجمعة فى الجامع اللى جنب المستشفى

_ ماشى يا خويا بس براحتك وادعيله

يذهب محارب من امام الغرفة بعد ان نظر على عبد الرحيم قبل ان يذهب الى الصلاة ويمشى فى طرقه المستشفى وهو منحنى ظهره ويمسك فى يده العمة وينزل محارب ويقف امام المستشفى وينظر شمال ويمين فيجد المسجد يمين المستشفى فيدخل يتوضا ويخرج يصلى ركعتين تحية المسجد وهو يدعي فى السجود الى عبد الرحيم و يقول

_ يارب ماتحرقش قلبى على ابنى يارب اقبل منى الدعاء ابتلينى انا يارب بأى مرض انا راضى واشفى ابنى يارب ملناش غيرك ندعيه ويرفع محارب من السجود ويسلم من الركعتين ويسمع الخطيب ويقول الخطيب ؟

_ اعلم يا ابن ادم فلا يقبل منك صدقة ولا عمل ولا دعاء الا ان كان مطعمك حلال وعدد ساعات عملك تكفى الى اخذ راتب يكفى ما عملت فاميكونش شغال ثمانية ساعات وتجلس اربعة وتشتغل اربعة وانت بتقبض حق الثمانية فلا يبارك الله فى المال وان بارك فى المال وزاد اعلم ان الله سيحرق قلبك فى الدنيا ونار جهنم والعياذ الله فى الاخرة فى اى شئ من نبذ فى حرام فالنار اولا به ونحن الان فى اختبار راجع نفسك واعلم ان الدنيا ليست باقية فالموت يخطف الصغير والمرض يلحق الجنين قبل ان يولد الى الدنيا فينظر محارب الى الخطيب ويهز راسه وبعد انتهاء الصلاة يركب محارب العربية ويخرج من المستشفى مسرع ويترك انعام

فـوق جانـب عبـد الرحيـم

******

كنـت انـا ومحمـد والعمـدة خـيرى نقـف امـام المسـجد بعـد انتهـاء الصـلاة ونركـب الكارتـة مـع العمـدة فى اتجـاه بيتنـا ويقـول العمـدة

_ انتم ساين امكم عامله ايه

وانـا اركـب عـلى يمـين العمـدة ومحمـد عـلى شـماله وهـو فى الوسـط يمسـك بلجـام الكارتـة الـذى يقودهـا فـرس ابيـض ونمـشى فى طريـق زراعـى بـين البيـوت فرغـات زراعيـة واقـول

_ تعبانة بردو ياحاج

_ صباح تعبت علشانكم كتير اوى

ونكمـل المشـوار الى البيـت وعنـد بـاب البيـت تقـف سـعاد فى انتظارنـا وعندمـا وقفـت الكارتـة امـام البيـت تـأتي الينـا سـعاد وهـى فى لهفـة وتبـكى

_ الحق امك ياعماد

عندمـا اري دمـوع سـعاد اقفـز مـن عـلى الكارتـة ومحمـد خلفـى وادخـل عـلى أمـى وهـى ترقـد عـلى السريـر بالجلابيـة السـمراء والاشربى الاسـمر عـلى راسـها وتغمـض عينهـا وتخطـرف فى الـكلام اجلـس جانبهـا عـلى السريـر وامسـك يدهـا واقـول

_ امه مالك

وهى لا ترد علي وتخطرف بكلامات لن افهمها

ويدخـل محمـد خلفـى وسـعاد والعمـدة يدخـل لاول مـرة الغرفـة عـلي أمـى وهـى ترقـد ويقـول

_ صباح يا بنت الغالى مالك يا بنتى حصلك ايه بس

ونلتـف حاولـين أمـى وانـا امسـك زراع أمـى اليمـين ومحمـد يمسـك

زراعها الشمال وسعاد تجلس تحت رجليها ويقف العمدة امامنا وأمى تغمض عينها وتقول

_ ابراهيم عامل ايه

وفى هذه اللحظة ابكيت انا واخوتى وانا ابوس على يدها واقول

_قومى يا امه ابوس على ايدك تفتحى

وهى لا تسمع احد وتكمل فى الكلام وتقول

_ ابا شوفت ابنك واللى عملوه فيا

والجميع يبكى حولها وتدخل علينا سميرة وتقف دون حس وعندما تسمع أمى تقول

_ ايه دا يا ابا بيت ليا

وتبتسم ابتسامة خفيفة وهى تتكلم وتقول

_ هو البيت دا ليا انا وانت يا ابراهيم امه وحيد

وانا ومحمد وسعاد نبكى عليها ونمسك يدها وكان العمدة وسميرة يقفان ويبكيان والابواب مفتوحة وتقول أمى

_ انا جاى بس مستنيا واحد لازم يجى مش انت قولت يا ابا انه جاى ماشى هاجى يا ابراهيم ؟

نسمع صوت عربية تقف امام الباب وفى لحظة يدخل خالى محارب علينا الغرفة وهو ينادى بصوت عالى

_ صباح يا صباح ويقف على باب الغرفة فيجد الجميع يبكى وأمى ترقد على السرير وينظر الى سميرة والعمدة وهم يبكيان وهو يقترب فى ذهول نحو أمى ويقول

_ انت بتعيطي ليه فى ايه ياصباح ياصباح

ويبعد محمد ويمسك خالى يد أمى ويقول

_ قومى ياصباح قومى يا اختى

تفتح أمى عينها وتقول وهى تبتسم وهو يبكى
_ ابوك قالى انك جاى قالى خليكى محارب جاى
فيرد عليها وهو يبوس يدها
_ جانى وقالى روح لصباح وادينى جيت جرى يا اختى
سامحينى ياصباح سامحينى يا اختى كل مليم اخدته منك هديهولك عشرة بس قومى
تنظر أمى الينا وتقول الى خالى
_ العيال يامحارب يتعلموا
_ هيتعلموا وهفتح لعماد اكبر مستشفى وانتى هتكونى معانا وكل واحد من ولادك هبنيله بيت وهكتبله الأرض اللى هو عايزها بس قومى انت
تنظر أمى الى سقف البيت وتقول
_ ايوه يا ابا جه زيى ماقولت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمد رسول الله
تقع رقبة أمى نحو خالى محارب وتغمض عينها واول صوت يطلع من سميرة وانهمرت انا ومحمد وسعاد حول أمى ونبكى وانا امسك أمى من راسها واقول
_ لا يا امه لا يا امه ماتسبنيش يا امه يا امه دا انتى الغطي اللى بنتغطي بيه حرام حرام أمى ماتت ياخال أمى ماتت
ويدخل علينا الجيران من صوت سعاد وسميرة وكلنا حاولين أمى على السرير وانا اقول
_ عايز ارد جميلك يا امه ماتمشيش وانت تعبانه يا امه أمى ماتت ماتت ياخال
وانا احضن أمى والجميع يبكى حاولين أمى وامتلاءت الغرفة

بالجيران وبعد وقت من البكاء والصريخ
اخرجونا الجيران من غرفة أمى وانا فى صدمه وعندما خرجت لم اري امامى فالبيت مظلم بعد ان فارقتُ حضن أمى فكنت اغرس فى الناس واقع مثل الاعمي الذى خرج من بيته ولم يعرف الطريق وعندما سمعت رجل يقول الدفنة بعد صلاة العصر ارتعشت رعشة رجل كبيرفى السن يقف فى الصحراء مجرد من ملابسه وتنهمر عليه الامطار ولم يسمع الا صوت البرق والرعد فجلست جانب الفرن وانا انكمش ولا اعلم ان ما اسمعه حقيقة أم كابوس فأريد ان اخرج من هذا الكابوس وادخل ارمى نفسى فى حضن أمى وقفت مسرعا الى الغرفة فمنعونى ان ادخل وانا اقول سقعان سيبونى اخش عند أمى سقعان
وانظر الى من يمسكنى وانا اقول
_ والله سقعان هموت والنبى سبنى اخش
وانا اضم يدى على بطنى وبعد ان تعبت من الكلام اخرجونى الرجال خارج البيت ولفونى ببطانية وانا لم اري احد من حولى ولا اعرف احد فالكل غريب عندى بعد أمى وانا سقعان وفجأه لم اعلم انا فين وازاى قومونى من بيت احد الجيران ومشونى خلف خشبة الميت والجيران تمسكنى ولا اعرف من فى الخشبة وانا مغشى علي نظرت الى الناس لم اعرف احد فوجدت محمد يبكى علمت ان هذه الخشبة فيها أمى الجوهرة البيضاء الذى اخذها الله منى اليوم وكنت اريد ان امنعهم من ان يحملوها الى الجبل ولكن انا امشى معهم بعينى فقط وجسمى كله ليس معى فمن الجيران من يساندنى من اليمين والشمال واجرجر قدمى على الأرض لم اعرف انها قدمى انا اليوم مشلول الا عينى تري كل شئ ولكن

تبكى فقط وعند الجبل وانا اركب عربية لم استطيع النزول منها حتي اتوا رجال انزلونى واوقفونى على تربة أمى وهى تُدفن ولا اعلم كيف كنت اقف وكان اخى محمد ينهمر من البكاء ويعافر مع الناس حتي لا تُدفن امي وسعاد لم تقف صامته فهي ايضا تعلم ان موت أمى مصيبه كبيرة ولا تسكت وانا اقف لم افعل شي بل مشلول مسنود على رجال وفى أول ضربة فأس على قبر أمى بقيت اشاور عليها اريد ان امنعهم ان يردموا أمى بالتراب وكان الجميع ينظر الي ويبكى على بكاء اخوتى وبعدما انهمر التراب على أمى وقف الجميع يسمع الشيخ يخطب خطبة على أمى ولكن مهما قال ما يقال عن الأم فلا يوفى قدر أمى حقها وقال الشيخ كل شى جميل عن أمى فهى الذى توفي زوجها وصبرت وتعبت على ابناءها واليوم تلاقى ربها وكل ما يقال عن الأم قاله الشيخ ودع كل من كان فى الجبل الى أمى ولكن مهما تفعل لا توفى قدر أمى واعترض محمد وسعاد ان يعودا الى البيت وجلسنا جانب أمى انا واخوتى والعمدة وخالى محارب ولا نريد ان نمشى حتي اقترب اذان المغرب فقال العمدة

_ يالا يا محارب علشان العزاء

وبعد الحاح وتعب معنا من خالى والعمدة يحملونى ويدخلونى الى عربية خالى محارب ومحمد جانبى وسعاد وعندما دارت العربية بكيت بحرقه ونظرت والعربية تمشى من الازاز الخلفى على أمى وانا انتظر وافكر انها تنادى علي وانظر شمال ويمين فالصوت مستمر حتي بعدنا من الجبل وانا لا اصدق ما حدث وعدنا الى بيت خالى محارب وهم يجهزون للعزاء وندخل الى البيت فنجد النساء تملئ البيت وانا لم اريد انا اجلس وسط النساء الذى يلبسان

اسمر فى عزاء أمى وخرجت من بيت خالى انا ومحمد لنقف فى العزاء وجلست سعاد مع سميرة داخل بيت خالى محارب فوقفت واخذت العزاء ولم اصدق ان هذا عزاء أمى الذى كانت تحملنى وتغطى عيوبى وبعد العزاء صمم خالى اننا نبات معه فاعترضنا واوصلنا الى البيت انا واخوتى بالعربية ووقفنا امام باب بيتنا فهو مغلق ولا احد من اخوتى يريد ان يفتح الباب احنا الثلاثة نقف امام البيت وننظر اليه كانما بيت غريب يركن خالى العربية حتي ينام معنا اليوم ويقف ينظر معنا بعد ان انزل من العربية ويمد خالى يده ويفتح الباب وعندما فتح خالى الباب دخلت مسرعاً الى غرفة أمى وانا اقول

_ اما انا نجحت

وافتح غرفة أمى فأجد السرير فاضى فبحثت عنها فى كل الغرف المتواجده فيمكن اكون فى كابوس او تكون عادت أمى الى الحياة ولم اجدها تحت فصعدت الى فوق وصعد خالى خلفى واخوتى يجلسان فى وسط البيت يبكيان فأمسكنى خالى وانا فى اخر سلمه وانظر الى السماء ولم اجد قمراً فيها ولا نجوم والظلام يحوم البلد فقال لى خالى وهو يمسكنى

_ مينفعش كدا اخواتك بيموتوا نفسهم من العياط تحت

وانا ابكى واقول

_ سبنى سبنى يا خال يمكن الاقى أمى هنا ولا هنا احب على ايدك سبنى

يسمع خالى الكلام ويبكى وهو يمسكنى وانا اقول

_ انا سامع صوتها والله انت مش مصدقنى أمى هنا أمى مخرجتش من البيت والله هى مابتخرجش لوحديها لازم اكون انا

معاهـا او محمـد اخويـا ومحمـد تحـت وانـا اهـو يبقـي هـي هنـا فينظر خالى الى الأرض ويبكى وانا اكمل

_ انـت بتعيـط ليـه انـت مـش فاهـم واللـه مامتتـش سـبنى بـس انـا هشـوفها فـوق ولا لا

ويتركني خالى وانا انادى عليها

_يا امه يا امه انتى فين يا امه انا جعان

طب خودينى فى حضنك وانا هشبع والله

وبعـد ان انزلنـى خـالى مـن فـوق السـطح جريـت عـلى الغـرف ثـانى وابحـث وانظـر يمـين ويسـار واقـول

_ هى فين الاوضه ضالمه ليه يا اما

وبعـد بحـث كثـير وانهمـرت دموعـى وجلسـت جانـب محمـد وسـعاد وانـا ابـكى معهـم واقـول وانـا انظـر الى خـالى

_ اخـرت اوى ياخـال طـب مـين الـلى هيزغـرد فى الشـارع لمـا انجـح طـب هـو انـا لـو نجحـت هتيجـى تقابلنـى مـن قـدام البـاب انـا خايـف واول مـرة اخـاف كـدا

فتعبـت مـن البحـث والـكلام فنمـت فى هـذا اليـوم الـذى لـن انسـاه طـول حيـاتى كان يـوم الجمعـة ١٥ ١٢ ٢٠٠٣\

****

اليوم ماتت أمى

اليوم ماتت أمى مات الحب والحنان

اليوم ماتت أمى ولا يخلو هذا اليوم من النسيان

اليوم ماتت أمى وانفجر من الأرض بئر الحرمان

اليوم ماتت أمى وغاب عنى اعز انسان

اليوم يُخيللى عقلى انى اجلس بين الجدران

اليوم سأعود الى البيت ولم اجد حضن الحنان

اين أمى اللتى كانت تُنير المكان

اليوم اقف وحدى دون غطائى امام الجيران

اليوم اقف وحدى دون حصن امان

وعدُت الى البيت ابحث عن أمى فوق سقف البيت

وخلف الجدران

ولم اجد احد يُنير المكان مثل أمى فى هذا الزمان

ويـوم السـبت فتحـت عينـى وانـا واخـوتى ننـام عـلى الأرض فى وسـط البيـت وخـالى ينـام بجانبنـا ونظـرت بعـد ان اسـتيقظت ونظـرت يمـين ويسـار وانـا انتظـر رؤيـة أمـى ووقفـت اذهـب نحـو غرفـة أمـى والباب مغلـق فتحـت البـاب وانـا خائـف ونظـرت عـلى السريـر الـذى لم تنـام عليـه هـذه الليلـه دخلـت الغرفـة وانـا انظـر الى السـقف والجـدران وجلسـت عـلى السريـر فى ذهـول

_ امبـارح زيـى دلوقتـي كنتـى معايـا وزيـى انهـارده كنـا بنحـضر الخبيـز علشـان السوق

فنظـرت الى الغرفـة وبعـد قليـل دخـل عـلي اخـواتى وجلسـوا بجانبـى عـلى سريـر أمـى وسرح كل منـا فى ذكرياتـه فى الغرفـة وجلـوس أمـى فيهـا وبعـد سـاعة خرجنـا مـن الغرفـة بعـد ان جهـز خـالى محـارب نفسـه لنذهـب الى الجبـل وعندمـا اقتربـت مـن المقابـر احسسـت انى سـأجد أمـى فى انتظـارى وكنـت اتمنـي ان يكـون مـا حـدث كابـوس وجلسـنا امـام مقـبرة أمـى فهـى الليلـة الاولي لي ولاخـوتى بعيـد عـن أمى وحضنهـا ومـر شريـط الذكريـات والتعـب الـذى مـرت بـه أمـى طـوال حياتهـا وللاسـف لم تحصـد مـا زرعتـه فينـا فالجلـوس امـام الفـرن طـوال السـنين جلـب المـرض والمـوت والفـراق عـن اولادهـا ومـر أول يـوم فى الاسـبوع بعيـد عـن أمـى الـذى لم اشـبع مـن حنانهـا واعلـم اننـى لم اشـبع طـوال حيـاتى بعـد ابى وأمـى مـن الحرمـان

وعـدي أول اسـبوع فكنـا كل يـوم نذهـب الى أمـى ونجلـس معهـا وفى يـوم جهزنـا انفسـنا

وذهبنا الى بيت خالى محارب لكى يأخذنا ونذهب الى عبد الرحيم

وركبنـا العربيـة وانـا انظـر مـن خلـف ازاز العربيـة اجـد النسـاء عـلى

حافه الترعة يغسلون المواعين وملابس الاطفال ومسكت مسرعاً يد ازاز العربية وانزلت ونظرت اليهم وانا اتذكر أمى يوم ما كانت تجلس معهم ومريت على النخل الذى كنت احمل الجريد والجمال الناشفة منه لتخبز أمى العيش وعندما اقتربت من المزلقان فرت الدمعة من عينى والقطر يمر امامى تذكرت وقفة أمى على الطريق وهى تحمل طشت العيش فى انتظار العربية فى كل مكان فى البلد مرت أمى منه يعترف انها تعبت ولم ترتاح يوم واقتربنا من المستشفى ودخلنا بالعربية وركن خالى على جانب الرصيف وصاعدنا الى دور العناية المركزة ودخلنا وكان الطبيب المباشر للحاله استاذى فى كلية طب وعندما رانى رحب بى

ودخلنا على عبد الرحيم غرفتة بعد ان خرج من العناية المركزة وكانت تجلس جانبه انعام وهى تحمل وحيد

ودخل خالى عليهم وقال

_ جايبلك ضيوف يا عبده

تنظر انعام وعندما ندخل تقف وتسلم علينا وتعزينا وتأخذ سعاد فى حضنها ونقف جميع حاولين عبد الرحيم ويدخل الطبيب ويقول

_ هو عبد الرحيم يبقي ابن خالك

_ ايوه يا دكتور

يقول خالى وهو فرحان للدكتور

_ انت تعرف عماد يادكتور

_ ومين فى الجامعة ميعرفش عماد دا من اشطر الطلاب عندى

يرد خالى وهو فرحان ويطبطب على كتفى

_ اهو عماد ده ابن اختى ومحمد اخوه فى هندسة والبنوته دى كمان

_ بحيث كدا عماد ممكن يخلى باله من عبد الرحيم فى فتره النقاهه فى البيت

_ اكيد طبعا يا دكتور بس هو يشد حيله وانا مش هسيبه الا لما يجرى زي الحصان

وبعد الزياره والحوار بينى وبين الدكتور واطمئنينا على عبد الرحيم خرجنا الى بيتنا وكانت سميرة تأتى فى النهار تخدمنا وتعود فى الليل وانا ومحمد انقطعنا عن الجامعة وخرج عبد الرحيم من المستشفى وذهبنا وجلسنا معه فى البيت أول يوم وبعد نزولنا من غرفة عبد الرحيم انا واخوتى جلسنا مع خالى محارب فى الصالة وهو يقول

_ انا كنت عايزكم فى موضوع

فننظر انا واخواتى الى بعض واقول

_ خير يا خال

_ خير ان شاء الله انا عايزكم تقفوا معايا فى اللى هعمله ده اولا هبنى ليكم بيت زي بيت جدكم ده وهفرشه احسن فرش وهجيب ناس تخدمكم فى كل حاجة بس لازم وصية صباح تكمل انت واخواتك تاخدوا الشهادة والبيت انا اللى هبدأ فى مبانيه من بكرة وسعاد ترجع المدرسة وكمان كنت عايز اعمل البيت اللى عاشت فيه صباح اختى مسجد ايه رايكم فى الكلام دة

ننظر احنا التلاته الى بعض ونفرح واقول

_ بس فى حاجة يا خال

_ ايه هي يا دكتور

_ سيب بيت أمى لينا وابنى المسجد فى مكان تانى

_ ماتخفش يا دكتور كل حاجة هتكون بورق رسمى ويشهد عليه

اللى انت عايزينوا بس انا عايز الناس تفتكر اختى بالخير فى المكان اللى عاشت فيه تعب السنين

وبعد الحوار مع خالى ذهبنا الى البيت وكل واحد يجهز نفسه الى ان يعود للدراسة وعدت الى الجامعة والى الدروس والى اصحابى فى الجامعة وكنت دائما اركب الى الجامعة من طريق البحر الاعظم ولكن عندما عدت لم اركب الا من طريق السوق وعندما اقترب تحت الكوبرى انظر الى المكان الذى كانت تجلس فيه أمى وهو خالى وفى يوم السوق وانا ذاهب الى البيت بعد ان انهيت محاضراتى ومن بعيد انظر الى مكان أمى فأجد عمود العيش الذرة وشممت ريحه أمى فجريت نحو العيش لاجد المفاجأة

أم سماح تجلس فى السوق ولكن يظهر عليها الكبر وترتدى نظارة نظر فابتسمت واتيت بحجر ووضعته جانبها وهى تنظر الي ولا تعرفنى وانا انظر اليها وابتسم وتقول

_ خير يا ابنى فى حاجة

_ نستينى صح

_ يا ابنى انا فى سوق وباين عليك تعرفنى من زمان

_ الا من زمان انا اعرفك كويس

_ مش باين عليك محدش يقدر يقعد جانبى فى المكان ده

واستغربت من الكلام وقالت

_ ليه

_ اصل المكان ده محجوز

_ لمين

_ لواحده صحبتى بتبيع عيش بردو

فرحت فرحه لن افرحها بعد موت أمى

_ بس هى مابتجيش من زمان
_ محدش بيغيب اكتر من المكتوب بس انت مين
_ انا صاحب المكان يا أم سماح
نظرت الي فى استغراب وقربت وشها منى وفجأه وهى تجلس على الأرض وانا جانبها قالت والدمعه فى عينها وهى تشاور بصباع يدها وانا اهز راسى
_ عماد ابن صباح
_ ايوه
حضنتنى حضن يقرب من حضن أمى ولكن وانا فى احضانها تذكرت أمى وهى تبكى وانا ابكى وبعدما انهينا من الاحضان والترحيب وحكيت لها كل شئ بعد ان ذهبنا من السوق بعد واقعه المحافظة وعندما علمت ان صباح ماتت ضربت بيدها على صدرها
_ يا حبيبتى يا صباح وبكيت كثير عليها
وانا اكمل لها ما دار بيننا وبين خالى وكيف عدت الى الجامعة بعد موت أمى ففرحت بى اننى فى طب وعندما مر علينا رجل يحمل العصير قالت له
_ اتنين عصير فى احسن كوبايه للدكتور عماد
وبعد ان شربنا العصير وانهت بيع العيش فأصرت اننى اذهب معها الى البيت وكنت اريد ان اذهب معها ولكن لازم يكون يوم مترتبله علشان لن تكون معى أمى فى هذا المره وهى أم الى بنات وتعود انني كل سوق انهى المحاضرات واذهب الى أم سماح واجلس حتي تنهى البيع ونتذكر ما كان يدور فى الماضى بينها وبين أمى وكان اصدقائي يتعجبون من جلوسى جانب أم سماح فى السوق وهم

يذهبون ويرون وانا جالس معها وبالعكس بل كنت انا اعرفهم اننى مع ميعاد فى السوق والكل يرمى عليا السلام وانا جالس على الأرض جانب أم سماح وفى يوم تأتى بنت فى الجامعة فى كلية صيدلة وتقف امام أم سماح وتتعجب من جلوسى عندها وعندما وجدت أم سماح تمزح معى فتتعجب وقالت وهى تقف

_ سلام عليكم

فأنظر اليها بنت فى سن العشرين تقف تحمل كتب بين ذراعيها جميلة ورديت السلام انا وام سماح

_ وعليكم السلام

فتقول أم سماح الى ابنتها وهى تبتسم

_ اهلا فاطمة

وتنظر فاطمة الي وتسأل امها

_ مين الاستاذ

دا بقي يا ستى ابن صباح اللى كنت بكلمكم عليها ماشاء الله فى طب معاكى بيجى كل اسبوع يقعد جانبى ونفتكر اللى فات ونضحك شوية

نظرت الى فاطمة نظره اعجاب وكانت أم سماح ترتب اننى اذهب لزيارتهم بعد اسبوع حتي اتغدا معها وبعد ما انتهينا من السوق وحملت فاطمة الطشت عن امها اعجبت اكتر بشخصية فاطمة

وعدت الى البيت وفى كل يوم لن انسى أمى فى كل خطوه فى البيت اتذكرها وكل يوم احد اذهب الى سوق المركز واجلس مكان أمى واتذكر الماضى واتذكر أمى وهى تجلس تبيع العيش ولكن تغير السوق ليس فى المكان ولكن غياب الانسان ولا اجد من كان يجلس معنا وسعديه لم تأتى الى السوق بعد مرضها الشديد ولكن

ما اتذكره فى هذا المكان أمى الذى لن انساها طوال حياتى فهى الجوهرة الذى خسرتها بعد ان راح ابى فى الصغر وتحملت هى كل شى عنى وعن اخواتى فلا احد يحبنى مثل أمى

****

٩سبتمبر٢٠١٠

الخميس وقفة العيد

ينام عماد امام تربة امه ويمسك يده الولد الصغير ابنه

_ انت نمت ولا ايه

يفتح عماد عيناه ويبتسم فى وجه ابنه

_ لا ياعم

_ هو مش هنمشى بقي علشان نجيب اللبس

_ هنمشى بس عمك وعمتك لازم يجو

وينظر عماد الى البنت الصغيرة وهى بعيده عنه فينادى عليها

_ ياصباح تعالى هنا وتأتى اليه البنت

وينظر عماد الى الساعة فى يده اليمين ويقف والولد على يمينه والبنت على شماله وينظر الى التربة ويبتسم ويقول

_ ماتخفوش عمرنا ما هننساكم فى كل وقت فكرنكم وعارف ان دعائي بيوصل ليكم زي مقال الرسول وولدا صالح يدعى له والله يا امه انتى وابويا انا بدعي انى اكون صالح علشان دعائي يوصل ليكم

ويدخل المقابر شاب ومعه بنت وينظر عماد اليهم من بعيد ويقول الى التربة

_ مش بقولكم مش ممكن ننساكم